شهيد الشهادة الثالثة

بقلم
أبو لواء البهادلي

سيرة الشهيد السعيد علي الانصاري

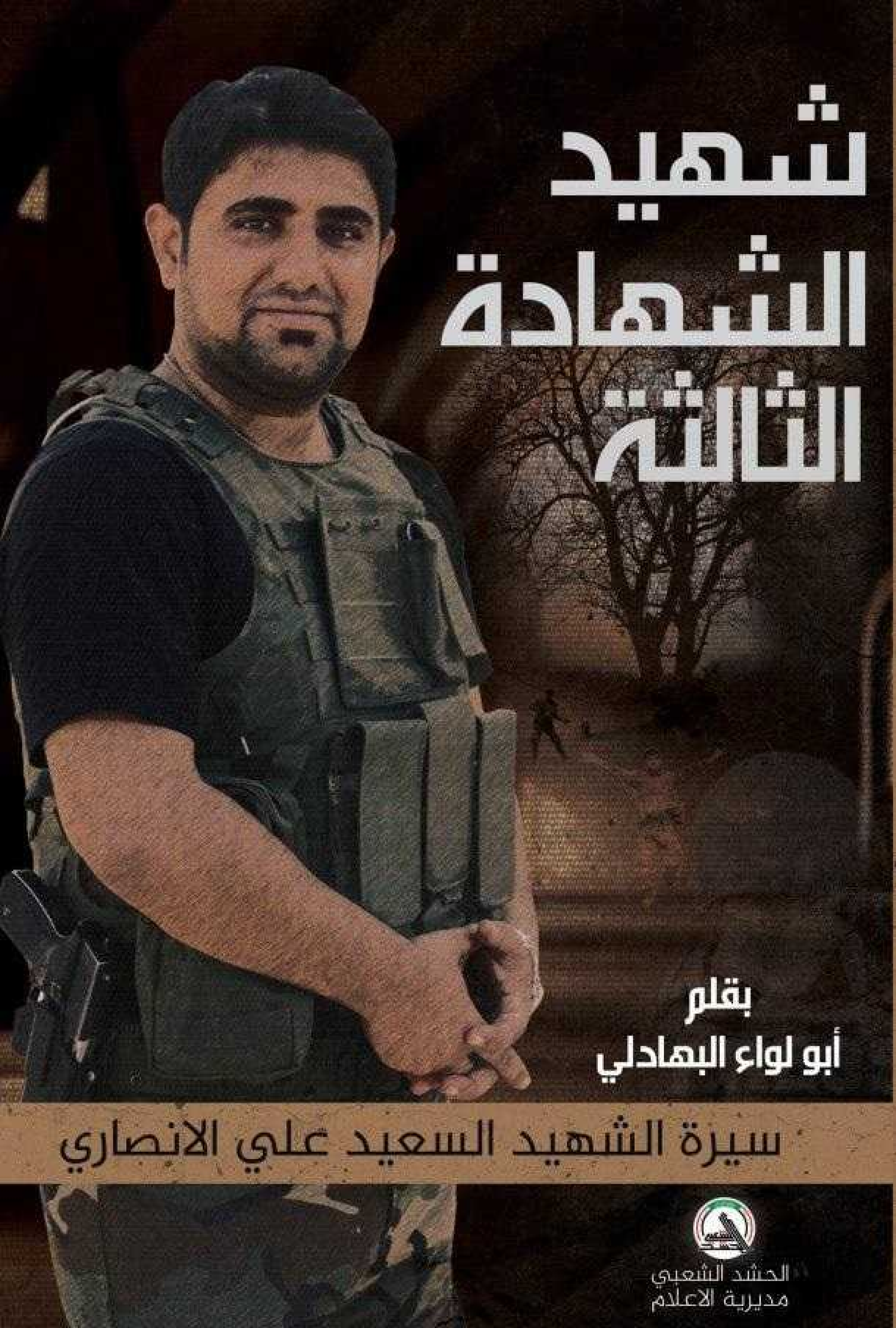

الحشد الشعبي
مديرية الاعلام

شهيد الشهادة الثالثة

اسم الكتاب: .... شهيد الشهادة الثالثة

المؤلف: .... أبو لواء البهادلي (عماد سالم)

سنة الطبع: ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

القياس: .... ١٤.٨×٢١

عدد النسخ: .... ٥٠٠٠ نسخة

تيليغرام: Alnour٣١٣@

حقوق النشر محفوظة لدى

هيئة الحشد الشعبي – مديرية الإعلام

شهيد الشهادة الثالثة

سيرة الشهيد السعيد علي الانصاري

أبو لواء البهادلي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

سورة العنكبوت: ٦٩.

الإهداء

إلى أرواح الشهداء الذين بفضل دمائهم نعيش وننعم بالحياة...

إلى أصدقاء الشهيد علي الأنصاري ومحبّيه...

إلى عائلة الشهيد، وأخصُّ منهم والده عميَّ الغالي الحاج أبا علي وعمّتي العزيزة أمّ علي التي لم يراودني شعورٌ غير شعوري بكونها أُمّي.

وإلى زوجتي أُمّ ريحانة التي أرى في عينيها كلَّ يوم أنَّ أخاها عليّاً يقف أمامي.

إلى كلّ هؤلاء أُهدي جهدي المتواضع هذا.

أسأل الله تعالى القبول، فهو خير مأمول.

المقدّمة:

بدأتُ بالكتابة عن الشهداء بقصص قصيرة أنشرها على صفحات عالم التواصل الاجتماعي؛ ليطَّلع الناس على ملاحم شهدائنا الأبطال، وكانت أكثر القصص تتحدّث عن مواقفهم البطوليّة والإنسانية، وأغلبها كنت أنا شاهداً عليها وحاضراً لتفاصيلها، ولست كاتباً فقط.

شرعتُ بالكتابة عن أصدقائي الشهداء الذين جمعتني بهم مواقف عدّة، وفكّرتُ كثيراً في أن أجمع الحديثَ عنهم في كتابٍ واحدٍ، ولكن بعد البحث في حياتهم الشخصية والجهادية وجدت أنَّ لكلّ واحدٍ منهم قصصاً لايحويها فصلٌ من كتاب ولا باب منه إلاّ بضربٍ من السراب.

لذا عزمتُ ـ بعد التوكل على الله تعالى ـ أن أكتب لكلّ شهيدٍ منهم كتاباً بنحوٍ مستقلٍ، بما استطعت لذلك سبيلا.

ومن هنا بدأت بالكتابة عن الشهيد علي الأنصاري رحمه الله؛ وذلك لقربي من عائلته، وتمكّني من تحصيل تفاصيل حياته قبل ولادته إلى شهادته.

في هذا الكتاب كتبت حياة الشهيد علي الأنصاري منذ الولادة وحتى الشهادة، كتبتُ سيرة علي بطريقة جعلتُ فيها (عليّ) يتحدّث معكم ويعرّف نفسَه لكم حتى الشهادة، بأسلوبٍ شيّقٍ بسيط، يلمسه القارئ اللبيب.

اعتمدت هذا الأسلوب بالكتابة كي يبقى الشهيد حيّاً معنا في كلّ الكلمات التي يقرأها محبّوه.

جمعتُ في هذا الكتاب عدَّة مواقف لعلي التي عاشها مع محبّيه.

واقتصرتُ على أهم مواقفه مع أصدقائه؛ وإلاّ له مع كلّ صديق عشرات المواقف، بدأت بجمع مواقف علي والبحث في حياته من الذكرى السنوية الرابعة لرحيله، ونحن الآن على أعتاب ذكرى رحيله الخامسة.

عاماً كاملاً بين البحث والكتابة وإعادة السرد لعدّة مرّات؛ ليكون بمستوى عنوان شهيدنا الغالي رحمه الله.

أكملتُ الكتابَ وما زلتُ أبحث عن عنوانٍ للكتاب استنبطه من حياة الشهيد، فوجدتُ في كلّ قصة عنوانٍ مختلف، حتى

أوصلني مقطع الفيديو الشهير الذي وثَّق لحظة شهادة علي الأنصاري، وهو يكرّر الشهادة لمولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام، وكأنّه يقول لنا: هي هي والله التي من أجلها قتلونا، ومن أجلها ظلمونا، وبها ننال الدرجات العلا، كُشفت الحجب عنه فرأى عالم الحقائق، وأراد أن يوصل أهمّية الأمر لنا فكرّر ذلك؛ حتى يلقي الحجّة على أعداء أمير المؤمنين عليه السلام. ومن صوت الشهادة الثالثة هذه اخترت اسم الكتاب (شهيد الشهادة الثالثة).

عماد سالم

ابو لواء البهادلي

النجف الاشرف/١١/ ١٠/ ٢٠١٩م

الشهيد علي الأنصاري وهو في الخامسة من عمره

هويتي:

أنا علي باسم محمّد الأنصاري، والدي هو الحاجّ باسم محمّد الأنصاري من مواليد عام ١٩٥٦م في محافظة ميسان قضاء علي الغربي.

حيث أكمل فيها دراستَه الابتدائية وحتى الثانوية، وفي العام ١٩٨٠م هاجر والدي مع أفراد أُسرته إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، هاربين من ظلم البعث الذي بات يضايقهم

كثيراً بعد إعدام جدّي الحاج محمّد مؤمن الأنصاري بحقنةٍ سامّةٍ بعد خروجه من المعتقل عام ١٩٧٧م الذي أُعتقل فيه لأكثر من شهر بتهمة الخدمة الحسينية.

الشهيد محمد مؤمن الأنصاري (جد علي)

في العام ١٩٦٣م ولدت والدتي الحاجّة شذى عبد الحسين الدبّاغ في محافظة ميسان قضاء علي الغربي.

أكملتْ دراستَها حتى الثانوية هناك، إلاّ أنَّه في العام ١٩٨٠م طوَّق حزبُ البعث الكافر وأمنُه الإجرامي بيتَ جدّي

عبدالحسين الدبّاغ وفي أيديهم وثيقة تنصّ على مصادرة أمول جدّي المنقولة وغير المنقولة وتسفيرهم إلى الجمهورية الإسلامية بذريعة أنَّهم "تبعيّة".

فتمَّ تهجيرهم من بيوتهم بلا رحمةٍ ولا شفقةٍ وأُخرجوا حفاة ليس لديهم شيء سوى ثيابهم التي يرتدونها.

وقبل رحيلهم بدقائق جاءت سيارة أُخرى بوثيقة جديدة فيها أمر اعتقال خالي الشهيد أمير عبد الحسين الذي تمَّ إعدامُه بعد تهجيرهم وهو لم يُكمل الـ (١٨ عاماً) من عمره، ودفن في المقابر الجماعية، وبقي مجهولَ القبر حتى الآن.

الشهيد أمير عبد الحسين الدباغ (خال علي)

هُجّر والدي إلى الجمهورية الإسلامية قبل تهجير والدتي بأشهر، كان في كلّ يوم يأتي ويجلس قرب الحدود العراقية – الإيرانية؛ علّه يحظى بلقاء ما تبقّى من أُسرته، أو مَن يعرفهم في داخل القضاء؛ كي يتمّم لهم إجراءات الكفالة فيدخلهم بسلاسة.

بتاريخ ١٩٨٠/٤/٩م وجد والدي على الحدود جارَهم عبد الحسين الدبّاغ (جدّي لأُمّي) وكاملَ أُسرته ينتظرون مَن يسمح لهم بالدخول، وقد بان عليهم التعب؛ فهم لم يناموا منذ يومين، وأرهقهم طول الطريق الرابط بين العراق وإيران.

يقول والدي: أكملت لهم كلَّ الإجراءات وأدخلتُهم إلى الجمهورية الإسلامية، وتجاورنا مرَّةً أُخرى، ولكن هذه المرَّة في مدينة الشوش(١).

وفي العام ١٩٨٢م أقدم والدي على خطبة جارتهم (والدتي) من والدها الذي يعرف أبي وعائلتَه وأصولها جيداً.

---

(١) سيتكرر ذكر اسم مدينة الشوش، التي تقع في محافظة خوزستان جنوب إيران، وهي المدينة التي سكنها عائلة الشهيد علي الأنصاري بعد هروبهم من ظلم البعث المجرم.

وبالفعل تمّت الموافقة وتزوّج والدي بوالدتي، وعمَّ الدار بالفرح المحدود؛ بسبب قيام الحرب وقوافل الشهداء، وكان والدي وعمّي بين الجبهة والدار، ولا نعلم أي منهم سيقضي نحبَه شهيداً.

في العام ١٩٨٤م رزق الله عائلتي بابنتين توأم جميلتين ملئن الدار فرحاً وسروراً، وكان والدي حينها في الواجب العسكري الذي فارقنا فيه عدّةَ أشهر.

في عام ١٩٨٦م حملت والدتي بجنينها الجديد الذي لم تنفخ فيه الروح بعد حتى يعرف نوعه وجنسه إلاّ أنّ كلَّ المعطيات تقول إنّه حمل صعب جدّاً، فكان الجنين مهدّداً بالإسقاط بسبب تعرّض أُمّي لوعكة صحيّة قويّة هدّدت الطفل بالإسقاط.

ولم تمض الكثير من الأيام حتى تراجعت صحة والدتي بسبب الحمل يوماً بعد يوم.

في ١٩٨٦/٩/١م أخبر أقاربنا والدي بأنَّ عمّي كريم أُصيب بساقه وهو في حالةٍ جيدةٍ ويرقد في إحدى المشافي؛ لذلك علينا أن نذهب معاً حتى نأتي به إلى الدار.

أخبر والدي والدتي بالأمر من أجل أن تذهب معهم وتشتري لعمّي كريم باقةَ وردٍ تقدّمها لهذا الجريح البطل.

لم يمضِ من الوقت الكثير ولم يسيروا مسافةً طويلةً حتى جاءهم الناس يحملون نعش عمّي الشهيد كريم الأنصاري (أبو علي العماري) الذي نال وسام الشهادة في حرب الدفاع المقدّس ضد أزلام البعث الكافر.

الشهيد كريم محمد الأنصاري (عم علي)

خبر رحيل عمّي شهيداً هزَّ والدي كثيراً فهو صديقه، ولم يكن أخاه فقط، كان صديقه الذي يرافقه طيلةَ حياته حتى في الحرب والجبهات، عملوا على ترتيب جدول نزولهم معاً؛

كي يتواجدوا في الدار في نفس الوقت.

انهار والدي ـ وهو القوي الصامد ـ فكان منكسراً حزيناً على فراق أخيه الأصغر الذي اتَّفق معه أن يخطب له ـ بعد عودته من هذا الواجب ـ ليتزوّج.

لكن قضاء الله وقدره شاء أن يرزق عمّي زوجةً من حور العين، ويكون زواجهما في جنَّة الفردوس.

الشهيد علي الأنصاري وهو في الاشهر الاولى من عمره

رؤيا كريم

أمُّ علي:

في العام ١٩٨٦م كنت حاملاً بطفلي الثالث بعد ولادة ببنتي التوأم، ولا أعلم ماذا أحمل في أحشائي أهو ولد أم بنت؟ في الأشهر الأولى من حملي تعرّضت لوعكةٍ صحيّةٍ، لكنّي كنت أعتبرها من أعراض الحمل التي ربّما قد تتغيّر غداً أو بعد غد.

بقيت وكأنَّه لم يحصل أيّ شيء، ولم تمضِ أيام كثيرة حتى وصل خبر شهادة كريم الأنصاري في العام ١٩٨٦م على يد أزلام صدام وهو الأخ الأصغر لزوجي، آثار الحزن والفاتحة والانشغال بمجلس العزاء ادّى لسوء حالتي الصحية.

انتظرتُ أبا علي كي يترك مجلس العزاء ويذهب بي إلى الطبيب، كانت المرَّة الأولى التي أرى فيها أبا عليّ منهكاً ومتعباً بتلك الصورة، فقد كان الحزن بادياً على وجهه، وكأنَّه قد كبر في هذه الأيام القليلة أعواماً كثيرةً.

تكلّمت مع الطبيب واصفةً له الحالة، فقال: هذا بسبب الحمل؛ لذا عليكِ فوراً اسقاط الجنين وإلاّ ستموتين مع طفلكِ هذا.

لم يقتنع أبو علي بكلام الطبيب وتركه وخرج، الأمر الذي جعل الطبيبَ يؤكّد عليه أنَّ وضعيتي ووضعية طفلي في خطورةٍ وصعوبةٍ.

أبو علي:

عندما قال لي الطبيب: إنَّ زوجتَك في خطر كنت حينها لا أشعر بشيءٍ، ولم تبقَ لي طاقة لأيّ شيءٍ، ففراق أخي كسر

ظهري؛ لذلك كان ردّي عليه قاسياً وكأنّه هو السبب، ولم انتبه لكلامي، لكنَّه كان متفهّماً جدّاً وعرف أنَّ وضعي منهاراً.

عندما صاح خلفي وأنا خارج من غرفته بأنَّ وضع زوجتك خطر، قلت له: وماذا يعني ذلك؟ هل ستموت؟ فحتى لو ماتت هي والجنين فلن يخيفني الموت بعد الآن!! أنا قبل يوم واحد دفنت هنا بالجنب منك بطلاً، ولو قمت بدفن ألف شخص بعده فلن يرفَّ لي جفنٌ.

خرجت وأنا لم أُطفئ سيجارتي بعد، وربما لم أطفئها منذ وصول خبر استشهاد أخي، ولم أنم ساعةً بعد.

استأجرت سيارة من أجل العودة إلى المنزل، كانت مقبرة الشهداء تقع على جانب الطريق، وكنتُ سارحاً في بحر أفكاري، فوقعت عيني صدفةً على قبور الشهداء، وكان قبر أخي نصب عيني، التفتُّ إليه وكأنَّه حيٌّ الآن أمامي، قلت له ـ بلهجتي العامية ـ: "مو أنتم الشهداء الكم كرامة خاصة عند الله؟ اليوم انت كون وسيط بيني وبين الله حتى ينقذلي زوجتي والطفل الي تحمله بين احشاءها".

أمُّ علي:

عدنا إلى البيت ووضعي الصحي يسوء شيئاً فشيئاً، ذهبت إلى فراشي حتى أرقد ولو لساعةٍ واحدةٍ من شدّة التعب، من دون أن أعلم هل سوف أستيقظ غداً، أو أنّي سأفارق الحياة كما قال الطبيب.

أبو علي:

لم أنم منذ يومين ومجلس العزاء أنهكني بدنياً، ولم أذق الطعام، كنت أبكي وادخّن السيجارة فقط.

فراق أخي جعلني أشعر بالعجز، فهو كان أقرب إنسان إلى روحي، كنّا أصدقاء ولم نكن أخوة فقط، وضعتُ رأسي على الوسادة عسى أن أنام ولو لساعة واحدة فقط؛ كي أستطيع إكمال ترتيبات العزاء لليوم الثالث.

ما إن أغمضت عينيّ رأيتُ أخي الشهيد كريم أمامي وهو يحمل طفلاً، سألتُه عن هذا الطفل الذي بين يديه، فأجاب: هذا كريم الصغير، سيرزقك الله ولداً فسمّه (كريم) حتى تكفّ عن البكاء عليَّ. ثم أعطاني الولد وذهب.

جلست مرعوباً أبحث عن الطفل بجانبي، وبعد لحظات تيقّنتُ أنَّها رؤيا، ذهبت إلى أمِّ علي كي أُخبرها بأنَّ كريماً أعطاني ولداً وقال لي: سمّه "كريم".

وقبل أن أخبرها بما رأيت في منامي أخبرتني أنَّ وضعها الصحي قد تحسّن، وأنَّها تشعر بتغيّر عجيب في حالتها الصحيّة، وأنَّ الأعراض التي كانت تشعر بها قد تبدّدت.

هنا تيقّنت أنَّ للشهداء كرامةً لا تُرد.

أخبرتُها بالرؤيا، وقلت لها: إنَّ الذي تحملينه هو ذاته الولد الذي أعطاني إيّاه كريم، كان ولداً أسمر البشرة، ذا عيون كبيرة وشعرٍ كثيف أسود، وقال لي: هذا ولدك، سمّه كريم، وكفّ عن البكاء عليَّ.

أمُّ علي:

أُقسم بالله، لم تمرّ سوى ستّة أشهر على رؤيا كريم حتّى ولد علي، بالضبط كما وصفه لي والده عندما أعطاه إيّاه كريم.

أبو علي:

عندما حملتُ علياً بين يدي ولم يمض على ولادته سوى ساعات، عادت تلك الرؤيا لتتجلّى أمام عيني، فعليٌّ الذي أحمله الآن بين يدي هو نفسه ذلك الطفل الذي وضعه كريم بيدي في عالم الرؤيا.

من اليسار الشهيد علي الأنصاري مع شقيقاته

تسلسل علي

أمُّ علي:

ولد علي بعد توأم البنات، فأصبح تسلسله الثالث في العائلة، وبعده ولد لنا ثلاث إناث أيضاً.

فأصبح هو الولد الوحيد بين خمس فتيات، الأمر الذي جعل والده يتعلّق به كثيراً، حتى بات يخاف عليه من كلّ شيء، وصار يقيّد علي بكلّ تصرفاته؛ خوفاً عليه.

عندما كنا نخرج سويةً إلى مكان سياحي أو مدينة الألعاب، يترك أبو علي كلَّ البنات بعُهدتي ويبقى هو يمسك بعلي فقط، ويرفض أن يقتني علي أيَّ لعبة وأن يلعب مع الأولاد حتى، فيكتفي بوضع علي في حجره بينما يحيطه بيديه وينظر إلينا.

الشهيد علي الأنصاري مع والده في مدينة الشوش الإيرانية

أتذكر في إحدى السفرات ذهبنا إلى البحر فترك البنات وهنّ صغار يلعبن على الشاطئ وفي الماء، أمّا علي فبالرغم من كبره لم يقبل أن يتركه يلعب مع أخواته؛ خوفاً عليه، وعندما

يريد لعلي أن يلعب في البحر فإنَّه كان ينزل معه إلى الماء ويخرجان معاً، طيلة ساعات الرحلة بقي ممسكاً به وكأنَّه سيفقده الآن، لقد ظهرت على نظراته آثار الخوف والقلق.

وعندما كبر علي واختار أن يكمل دراسته بالمعهد الميكانيكي رفض أبو علي الأمرَ، بالرغم من شدّة حبّه له، والذي يعمل طيلة عمره على أن لا يرفض له شيئاً.

وعندما نسأله لماذا ترفض أن يذهب إلى المعهد التقني؟ يبقى صامتاً دون جواب.

رفض علي إكمالَ الدراسة بغير المعهد، وقرَّر الذهاب إلى قم المقدَّسة لأجل الدراسة الحوزوية، وافق أبو علي على ذلك، وذهب عليّ إلى قم المقدَّسة، وتغرّب عنّا وهو صغير.

لكن أبو علي لم يبيّن لنا سبب رفضه للمعهد الذي لم يبعد عنّا سوى دقائق قليلة، وبعد مرور شطر من الزمن وبقاء علي لعامٍ كامل في قم المقدِّسة، عاد ليكمل دراسته الأكاديمية.

عندها عرفنا بعد وقتٍ طويل أنَّ رفض أبي علي كان خوفاً على علي من عبور الشارع كلَّ يوم ذهاباً وإيابا؛ فالمعهد يقع

في الجهة الأخرى من الطريق السريع، ومَن يريد الوصول إليه يجب عليه أن يعبر ذلك الطريق الخطير؛ بسبب سرعة السيارات السائرة فيه، ولذلك رفض أبو علي الأمرَ وبشدّة، وتحمّل فراقَ علي لعامٍ كاملٍ؛ خوفاً عليه من القدر المجهول.

بسمه تعالی

جمهوری اسلامی ایران
وزارت آموزش و پرورش

گواهینامه پایان تحصیلات دوره سه ساله راهنمایی تحصیلی

خانم /آقای: کریم هیوری فرزند: باسم

دارای شناسنامه شماره: ۳۰۸۳۲۲ صادره از: شوش ۳ متولد سال: ۱۳۶۶

داوطلب آزاد / دانش آموز مدرسه راهنمایی تحصیلی: آیت الله کاشانی

شهرستان /منطقه /ناحیه: شوش استان: خوزستان در

امتحانات نهایی خرداد / شهریور ماه سال ۱۳۸۰ شرکت نموده و با معدل کل

(با عدد و حروف): ۱۴/۲۷ چهارده ممیز بیست و هفت صدم قبول شده است.

این گواهینامه به وی اعطا می شود.

معدل نمره انضباط (با عدد و حروف): ۱۸/۶۶ هجده ممیز شصت و شش صدم

صورة من شهادة المرحلة المتوسطة للشهيد علي الأنصاري

لماذا يناديني الأطفال كريم؟!

أبو علي:

عندما ولد عليّ بعد استشهاد عمّه كريم، والرؤيا التي رأيتُها أنا بعمّه، أسميناه (كريم).

لكن هذا الاسم لم يدم كثيراً، فعندما كبر عليّ وصار يدور في البيت صار الجميع ينادونه باسم كريم، وكلّما ناداه شخص بهذا الاسم، بكت جدّتُه لسماعها اسم ولدها يردّد كلَّ دقيقه.

شعرنا بحزنها وفزع قلبها كلّما ناديناه كريم؛ لذلك قرّرنا أن نادي (كريم) باسم "علي" فهو كذلك كنية الشهيد؛ إذ كان يُنادى عليه بـ "أبو علي العماري".

علم الجميع بضرورة نداء كريم ابني باسم علي، إلاّ أنَّ كريم - ابني - لم يفهم شيئاً، وبعد تغيير اسمه إلى علي اعتاد على الاسم الجديد، وصار ينتبه لنا عندما نقول له: علي.

إلاّ أنَّه في الأوراق الرسمية بقى اسمه كريم، حتى كبر وأدخلناه المدرسة وهنا بات الطلاب والأساتذة ينادونه باسم كريم، وعندما يعود إلى البيت نناديه باسم علي.

كان هذا الأمر بالنسبة له من مدعاة فخر ومفاخرة أمام أصدقائه في المدرسة؛ باعتباره أنَّه يحمل اسمين.

حتى كبر وصار يسأل: لماذا أنا كريم في المدرسة وفي البيت تنادونني بعلي؟!

هنا جلست معه وبقيت اشرح له ما معنى هذا الاسم وذاك، فتعلّق عليّ باسم كريم كثيراً، وصار يبحث عن كلّ التفاصيل التي تخصّ عمَّه الشهيد، وصار يتحدّث إلى أصدقائه عن

بطولات عمّه، وصار يرفع صورة عمّه الشهيد كريم الأنصاري وهو يسير بين الناس في كلّ عيدٍ وطني أو مناسبة. تعلّق كريم تعلقاً شديداً بكريم، وصار يسير على نهجه في كلّ شيء، وكأنَّه عاش معه لسنوات، بالرغم من أنَّه لم يره في حياته أصلاً.

الشهيد علي الأنصاري في مدينة الشوش وهو في الخامس عشر من عمره

الهلال الأحمر

أمُّ علي:

عندما كنت أنظر إلى علي فإنّي لم أكن أرى فيه طفلاً صغيراً أبداً، بل كلّ شيءٍ فيه يدلُّ على نضوج عقله قبل عمره؛ فكلّ الأطفال ينتظرون بفارغ الصبر تلك الأيام التي تعطّل فيها

الدراسة، من أجل أن يلعبوا ويمرحوا، إلاّ علي فإنّه كان مختلفاً عنهم تماماً؛ إذ جاءني قبل موعد الإجازة الصيفيّة بأيام ليطلب منّي أن أسمح له بتسجيل اسمه مع حملة الهلال الأحمر التي تسجّل مَن يرغبون في التطوّع للتدريب على الاسعافات الأوّليّة.

ابتسمت قائلة: ما هي حاجتك لهذا التدريب؟

أجابني: ماما أريد أن أتعلّم الاسعافات الأوّليّة حتى أُساعد الناس إن حدث أمرٌ طارئ.

- وإجازتك ألا تريد أن تقضيها مع أصدقاءك في اللعب والسفر؟

- لا ماما أريد البقاء هنا في العطلة الصيفيّة؛ لأتعلّمَ كيفيّة تقديم الاسعافات الأوّليّة إن حدث شيءٌ أمامي واحتاج الناس لمساعدة ما.

طلبه وحديثه عن مساعدة الناس أسعدني كثيراً؛ فهو بهذا العمر ويفكّر كيف يهيئ نفسه لمساعدة غيره إن احتاج لمساعدة.

- طيّب، ما هو المطلوب منّي الآن؟

- لا شيء، فقط اقناع أبي بأن أُسجّل معهم.

وفعلاً وافقنا أنا ووالده على أن يذهب ويسجّل في دورة الهلال الأحمر التي يقيمونها بشكلٍ مجّاني في العطلة الصيفية لمن يريد تعلّم طرق الإسعاف الأوّلي.

وبعد أيام من الاشتراك معهم تفوّق في كلِّ الدروس المتعلّقة بالإسعاف الأوّلي، فقدَّموا له عُدَّة الإسعاف هديةً؛ لتفوّقه في تلك الدورة.

لذلك لا تستغرب عندما تسمع الآن بعض أصدقاءه ينقلون عنه المواقف عن مساعدة علي لهم، فهذا هو عليّ منذ الصغر يسعى لمساعدة غيره حتى على حساب نفسه.

الشهيد علي الأنصاري وهو في التاسعة من عمره

حفيدة الطفل

أمُّ علي:

ذات مرَّة أعتدى عليٌّ على طفلٍ وقال: هو مَن قد أساء إليَّ،

فسألتُه حينها: من أين هذا الطفل؟

قال: لا أعرف، ربما يسكن الشارع الذي بعد شارعنا.

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى طُرق الباب، خرجت وأنا أعلم أنَّ مَن يطرق الباب هم أهل ذلك الطفل الذي اعتدى عليٌّ عليه.

وبالفعل فتحت الباب لأجد امرأة كبيرة في السن وبيدها طفل، سلَّمتْ وقالت: هل لديكم ولد اسمه علي، فقد تعرّض إلى حفيدي؟

قلت لها: نعم أخبرني بذلك، وكنت أريد القدوم إليكم والاعتذار عمّا فعله علي، لكنّي أجهل بيتكم، وسأنادي علي ليعتذر لكِ وله.

ناديتُ علياً، فخرج ووقف أمام المرأة الكبيرة في السن وقال لها: أنا أعتذر، ولكنَّه هو مَن أساء إليَّ، لا أنا.

لم تتكلّم المرأة ونظرت إلى حفيدها وقالت له: أهذا هو الطفل الذي ضربك؟

ردّ عليها: نعم، هو هذا علي.

قالت له: حتماً أنت مَن أسأت اليه، فأنا عندما أعود من السوق وأمرّ بهذا الشارع، يبادر هذا الطفل مسرعاً وكأنَّه يعرفني

فيحمل عنّي ما في يدي من أكياس المشتريات، ويرافقني حتى يوصلها لي إلى المنزل؛ لذلك يا أمَّ علي أنا اعتذر لكِ عن إساءة حفيدي للأدب.

نظرتْ إلى علي مرَّةً أُخرى وقالت بلهجتها: "بيبي! الله يحفظك لأهلك ويسلّمك الهم. أكيد بيبي هو عال بيك؛ ابني واعرفه زين".

حينها سرحت في خيالي وأنا أستمع إلى أمّ عليّ وهي تحدّثني عن هذه القصة، فتذكرّتُ أحد أصدقاء علي وهو رجلٌ كبير السن كلّما مرّ عليه اسم علي الأنصاري يبكي ويتحسّر عليه.

عندما سألتُ أحدَ الأصدقاء عن هذا الرجل، قال: هذا الرجل كبير في العمر ووضعه المادي بسيط جداً وليس له ولد كبير، كان إذا احتاج إلى مساعدة لقضاء حاجة، فعليٌّ هو مَن يبادر لقضائها له.

حتى أتذكر في إحدى المرّات كان الفصل صيفاً وكان الطقس حارّاً جداً، كنت جالساً في القناة ودخل علي متعباً ومرهقاً، يتصبّب العرق من جبينه، والتراب يملأ ثناياه وملابسه.

حينها سألته: ما بك؟

قال: ذهبت لإصلاح سلك مولدة حجّي فلان؛ لأنَّ المسكين منذ يوم بلا كهرباء بسبب انقطاع السلك الرابط للمولدة.

فذهبت كي أُصلحَه، فلم أعثر على الجزء المقطوع، لذلك اضطررت لشراء سلك جديد وقمت بربطه له من جديد ولم أنتهِ من ذلك إلّا الآن.

هذا موقف من عشرات المواقف لعلي مع هذا الرجل، بل مع الجميع، فعليّ عُرف بيننا بمساعدة الناس وقضاء حوائجهم حتى وإن لم يستطع، فإنَّه لا يرفض، بل يحاول ويقول: حاولت ولم أستطع.

الشهيد علي الانصاري وهو في الثاني عشر من عمره

العصابة

علي:

تمهّلوا لا يفزعكم هذا الاسم وتظنّون إنني كنتُ أمتلك عصابة فعلاً، بل في أيامي الأولى في المدرسة الابتدائية وجدت أطفالاً بعمري ومعي في المرحلة الابتدائية إلاّ أنَّهم

في الحقيقة لم يتمتّعوا بشيءٍ من صفات الأطفال، فهم شرسون جدّاً ويتعاملون بعنف.

لم أتعامل معهم ولم أصاحبهم، وبقيتُ على درسي واهتمامي بتعلّمي فقط، لكنّهم لم يتركوني وشأني وصاروا يتعرّضون لي، فتارةً يريدون كتابي وأُخرى قلمي، وبعضهم أراد الحصول على مصروفي.

هنا تأمّلت في وجوه الأطفال الذين هم مثلي لم يؤذوا أحداً، فرأيتُهم كثيرين، لكن كلاً منهم في جهة، ولم يكونوا يداً واحدةً كي نصبح قوةً في وجه هذه الهجمة الشرسة التي نتعرّض لها يومياً.

هنا تذكرت والدي الذي يخاف علي كثيراً، فهو لا يقبل أن يراني مضروباً أو أبكي، فأوصاني - إن أنا تعرّضت للضرب - بقوله: "ردّ بالمثل وخذ حقّك، أو اصمت، ولا تقل لي: إنّ فلاناً ضربني".

عقدتُ اجتماعاً مغلقاً ضمَّ كلَّ المستضعفين في مدرستي التي كانت تحمل اسم رئيس الوزراء الشهيد (باهنر) وطلبت منهم

أن نشكّل قوةً دفاعيةً تصد هجوم أولئك الأطفال؛ حتى نستطيع البقاء هنا وإلاّ سينتهي بنا الأمر كلّ يوم ضرب وتسليب.

هناك من رفض الفكرة وهناك مَن ايّدها بشدّة، تجمّعنا وأطلقنا على أنفسنا اسم العصابة؛ للردّ على هجمات الأعداء، وبالفعل أصبحنا قوةً شرسةً ويهابنا كلُّ الأطفال، واستطعنا أن ندفع الأشرار عنّا.

بعدها تطوّرت عصابتُنا من الدفاع إلى الردّ وأخذ حقوق الأطفال الضعفاء، فهناك أطفال لم يكونوا معنا لكنَّنا نثأر لهم عندما يتعرّضون لشيءٍ.

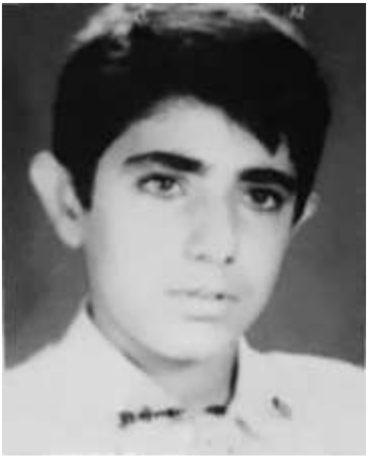

الشهيد علي الأنصاري وهو في الثالثة عشرة من عمره

عندما أتذكر تلك الأيام أبتسم وأتساءل كيف أتممنا الدراسة في تلك الحقبة؛ اذ كنّا في حرب شوارع لا مدرسة ابتدائية.

انتهت تلك المرحلة من عمري ودخلت المرحلة المتوسطة، وهنا كانت سعادتي لا توصف، فكنت فرحاً من وصولي للمتوسطة، وشعرت بنفسي أنَّي أصبحت كبيراً. تغيّر بعض الأصدقاء الذين كانوا معي في الابتدائية وتغيّرت قلوب بعضهم، فهناك مَن كان يتشاجر معنا أصبح هنا صديقنا.

كانت مرحلة الطفولة قد انتهت والآن صرت أنظر إلى مستقبلي الدراسي وماذا سأدرس.

اجتهدتُ بكلّ طاقتي حتى أصل إلى مرحلة الثالث وأتفوّق بمعدل عال؛ لأتمكّن من التسجيل في إعدادية الميكانيك التي كانت تمثّل حلمي يومذاك.

أنهيتُ الثالث بتفوّق عالٍ، ففرحتْ أُمّي كثيراً، لكن أبي أخفى فرحتَه وكأنَّه هناك شيء ما يثقل كاهله ويزيده همّاً، بادرت لسؤاله: ما بكَ يا أبي؟!

أجابني بسؤال: ماذا ستكمل بعد الثالث؟

قلت له: سأدرس في إعدادية الميكانيك فهي قريبة جدّاً من دارنا، فقط أعبر الشارع الرئيسي وخلفه تقع الإعدادية.

رفض أبي هذا الطلب وتلك الأمنية التي عشتُ سنوات أدرس وأجتهد من أجل الوصول إليها. لم يعطني سبباً مقنعاً حينَها، ولم يجبني على سؤالي عندما قلت له: لماذا؟

فقط قال لي: خلاص أكمل دراستك حتى تتخرّج، واترك موضوع المعهد.

زاد اصراري فزاد رفضه، وما إن رأيتُه يرفض الأمر بهذه الشدّة وافقت على اكمال دراستي بعد عام من الدراسة الحوزوية في قم المقدّسة.

فقد عدت بعد سنة إلى دراستي لأكمل المرحلة الإعدادية، وبعد إكمالها عرفت ـ وعن طريق أُمّي ـ أنَّ رفض والدي لي من الدخول إليها كان خوفاً عليَّ من عبور الطريق السريع، حيث كانت الإعداديّة تقع في الجهة الأخرى للطريق السريع الرابط بين الشوش والأهواز!

* * *

قناة الغدير

عدنا إلى العراق عام ٢٠٠٤ م وسكنّا في النجف الأشرف، لا أدري لماذا اختار والدي السكن في النجف برغم إننا من سكنة مدينة العمارة سابقاً، وسكننا في النجف يعدّ غربة حيث لا يوجد لدينا فيها قريب واحد.

ربما عودة الوالد قبلنا بعام إلى النجف واستقراره هناك جعله يختار هذه المدينة المقدَّسة.

والد علي:

اخترت السكن في النجف الأشرف لأنَّها مدينة هادئة جداً، رغم عدم وجود قريب أو صديق لنا فيها، إلاّ أنَّ خوفي على علي يجبرني على السكن في الصحراء وحيداً.

حين فكرت بالعودة إلى مدينتي الأمّ مَيسان خفت كثيراً من المشاكل العشائرية هناك، وعلي شاب شجاع لا يسكت إن اعتدى عليه أحد.

فلا أريده أن يتورّط بقتلٍ ولا أريد أن أخسر ولدي الوحيد؛ لذلك اخترت النجف وأحببت خدمة الإمام الحسين عليه السلام فيها.

علي: بعد معاناة الطريق والانتقال من الجمهورية الإسلامية إلى النجف الأشرف صرت أفكّر بالعمل؛ لأني لا أحب أن أبقى جالساً في البيت.

كنت في حيرةٍ من أمري فماذا أعمل وأنا لا أجيد أي حرفة، عليَّ أن أتعلّم أولاً حتى تصبح لدي مهنة أو حرفة تساعدني على العمل.

لكنّه من الصعب الحصول على شخصٍ يسمح لك بالعمل معه وأن تتعلّم منه، فالجميع يريدك أن تكون متعلّماً قبل أن تعمل معه.

حينها علم السيّد مضر البكّاء(١) أنّي أبحث عن عملٍ، فعرض عليَّ مجالَ الإعلام. ابتسمت! فأنا لا أجيد شيئاً في الإعلام، أعرف العمل قليلاً على الحاسوب لكن ليس لديَّ أية خبرة في هذا المجال.

الشهيد علي الأنصاري مع السيد مضر البكاء المدير العام لقناة الغدير

(١) سيتكرّر ذكر السيّد مضر البكّاء في هذا الكتاب مراراً، وسيلمس القارئ الكريم مدى علاقته بأهل الشهيد علي (رحمه الله)؛ لكونه صهراً للشهيد على أخته، ومن هنا سيمرّ علينا مجموعه من الخطابات مع والديّ الشهيد علي.

قال لي: أعلم أنَّك لا تجيد شيئاً لكنّي سأجعلك تحت التدريب وبلا مرتّب، وإن أتقنت العمل وصرت تعرف شيئاً في مجال الإعلام، حينها سأدبّر لكَ وظيفةً في القناة.

هنا يذكر البكّاء لنا هذا الحدث.

"عرضت على عليّ التدريب في القناة والتعلّم بلا مرتّب حتى يصبح جاهزاً للعمل.

كان حينها يبتسم وأنا أتكلّم معه عن مجال الإعلام فهو يتصوّر أنَّ الأمر صعباً جدّاً، لكنّي أعلم أنَّه ذكي جدّاً وكنت على يقينٍ من أنَّه سيُبدع في مجال عمله وفعلاً لم يمر عليه ربما شهرٌ واحدٌ تحت التدريب حتى أجاد العمل بحرفيةٍ عاليةٍ جدّاً على برنامج الكرافك.

عندما سألت البعض من كادرنا عن علي، وكيف هو تحت التدريب يسعى أن يتعلم أو لا؟!

حينها قالوا: علي يريد أن يتعلّم فهو يأتي من الصباح الباكر ولا يعود إلاّ في المساء".

ـ عليّ: دخلت إلى القناة وأنا لا أعلم عنها شيئاً، ولا أعرف فيها أحداً سوى السيّد البكّاء.

دخلت على كلِّ الأقسام، قسماً بعد آخر، فرأيتُ هذا القسم جميلاً جداً، فكلّ شخصٍ جالس على مكتبه وأمامه شاشة حاسوب ويعمل عليها، وكان عملاً نظيفاً وغير متعب.

وأنا أتجوّل في الأقسام أخذت على عاتقي أن أكون واحداً من هؤلاء الشباب الذي يعملون هنا.

عرضوا عليَّ أكثر من قسمٍ للتدرّب فيه لكنّي اخترت المونتاج وأحببت أن أتدرب على الكرافك.

صرتُ أخرج في كلّ صباحٍ إلى القناة باكراً فأصل قبل الموظَّفين حتى، وكأنَّي في سباق مع الوقت حتى أتعلّم كلَّ شيء، ولا أعود إلاّ في المساء.

ذاكرتي وذهنيّتي قويّة جداً؛ إذ لم يشغل تفكيري شيءٌ بعد سوى أنَّي أُريد التعلّم هنا.

وفعلاً يوماً بعد يوم يقومون باختباري على ما أخذته في البارحة فأعيده لهم بتركيزٍ عالي.

هذا الأمر جعل الأخوة في هذا القسم يبدون بي الاهتمام أكثر وتطويري أكثر. حتى أنَّى أتذكّر حينها أنَّهم قالوا لي: أنت ذكيٌّ جدّاً واستجابتك في التعليم سريعة جداً، فأنت لا تتعبنا بالتكرار عليك لمرّات عديدة.

أتقنت العمل على الكرافك وأصبحت موظَّفا فعليّاً في قناة الغدير بعد التدريب.

لم أبقَ على تعلّم الكرافك فقط، فأنا أسعى أن أتعلّم أكثر من مجالٍ في القناة فمازال لديّ الوقت الكافي.

بعد مرور أشهر وربما عام على عملي في القناة صرت أعرف الاخراج، والعمل بسيارة البثّ المباشر (اس ان جي) وحتى أتقن التصوير، وفي بعض الأحيان آخذ دور المخرج، وأحياناً أخذت دورَ المصوّر في بعض البرامج.

قال لنا أحد الأصدقاء: ″ إنَّ علي الأنصاري تعلَّم العملَ على كلّ شيء في القناة، فأصبح يجيد الاخراج والتصوير والعمل بسيارة البثّ المباشر، فلم يدع شيئاً لم يتعلّمه ولم يعمل فيه، وباختصارٍ شديد علي عمل في القناة ٢٤ ساعة.

طبعًا ربما البعض يقول مبالغة لكن فعلا عمل هذا، فلعشرات المرّات يبقى ويبيت في القناة التي لا تبعد عن بيته سوى دقائق، لكنَّه كان يرفض الذهاب ويكمل العمل وبعدها يرجع، فمعدّل عمل علي في القناة أكثر من كلّ موظَّف فيها".

عليّ: بعض الأصدقاء يسألوني لماذا أنت مجتهد هكذا في العمل وتتعب نفسك كثيراً، وحتى بعض الأحيان تنام هنا وكأنَّك أنت مالك القناة ولست موظَّفا فيها؟

فكنتُ أُجيبهم: أنا جئت إلى القناة ولم أكن إعلامياً، كنت شخصاً تحت التدريب بالمجّان حتى تعلّمت وأتقنت ما أريده، فأصبحت مدير قسم الإنتاج، فهذا المكان لم يأتِ من فراغ، بل جاء نتيجة جهد جبّار وتعب وسهر. هذا أولاً.

وثانياً لقد جاء بي السيّد البكّاء وأنا أُحبّ هذا الرجل كثيراً، فلا أريد أن يقولوا عنّي فاشلاً أو فشل.

تقول والدة علي: ″في بعض الأحيان وكثيراً ما يعود علي بعد منتصف الليل، وكنت أخاف عليه كثيراً، وأحياناً ينام هناك.

في أحد الأيام سألته ماما جميعكم هكذا في القناة، فأنت تتأخّر كثيراً، وبعض الأحيان تنام هناك. حينها قال لي: ليس الكلّ هكذا. لكنّي أبقى حتى أكمل العمل الملقى على عاتقي وفي بعض الأحيان يتطلّب الأمر أن أنام هناك، وأريد أن أبيّض وجه السيّد البكّاء حتى يكون فخوراً بي″.

عليّ: عملت مسؤولاً لقسم الانتاج، وكذلك مسؤولاً لفريق تغطية زيارة الأربعين ومنسّقاً مع القنوات الإيرانية التي ترافقنا لتغطية الزيارة.

عام ٢٠١٣ م عقد اجتماع برئاسة البكّاء وكلّ رؤساء الأقسام لتشكيل فريق إعلام حربي لتغطية المعارك في سوريا، ويحتاج هذا الفريق لكادر كامل يعملون هناك.

طبعاً الأحداث والمعارك هناك كانت خطيرة جداً، فالحرب في كلّ المدن.

أرادوا فريقاً للتصوير، فرفعت يدي مع ثلاثة آخرين فقط من بين جميع أفراد القناة.

فرفضني البكّاء قائلاً: أنت كرافك وعملك هنا فماذا تعمل هناك؟!

قلت له: أنا مصوّر وأُجيد العمل على الكامرة، وسأذهب إلى سوريا بصفتي مصوّراً.

يقول البكّاء: "عقدنا اجتماعاً بعد الأحداث في سوريا؛ لتغطية الحرب هناك، وعندما قلنا نريد فريقاً إعلامياً هناك، كان أوّل

مَن بادر لرفع يده هو علي، مع العلم أنَّ عملَه ليس ضمن هذا الفريق، قلت له حينها: علي! أنت مصمّم كرافك، وعملك في سوريا لن يفيدنا.

قال: لا سيّدنا، أنا مصوّر، أتريد أن تختبرني في التصوير الآن؟

أصرَّ عليٌّ على أن يكون من ضمن ثلاثة شباب فقط تطوّعوا للذهاب إلى سوريا، بينما اعتذر الآخرون.

أصررت على رفضه وأصرَّ على اقناعي بأن يذهب مصوّراً.

حينها قال: أنا أنتظر هذا الواجب المقدَّس، وذهابي إلى هناك بمثابة جهاد، وليس عملاً إعلاميّاً فقط. لم أقل شيئاً له بعد هذا الكلام سوى كلمة: انتبه لنفسك″

رفض البكّاء ذهابي وأصررت عليه، وعندما قال: نعم جهّز نفسك ستكون أنت من ضمن الذين يذهبون إلى هناك فرحت كثيراً.

هيّأتُ نفسي للذهاب، وصلت إلى الشام، الشام التي لم يبقَ منها سوى اسمها فقط؛ فالحرب في كلّ المدن والطرق، ولا تعلم من أين يأتيك الرصاص.

كان الواجب صعباً جداً، فهو بمثابة الموت، لكن عندما ترى الشبّان من كلّ البلدان وهم بعمر الورود جاءوا إلى هنا كي يدافعوا عن مرقد السيّدة زينب عليها السلام يتجدّد لديك الأمل.

فهنا شباب عراقيون من كلّ المدن، وآخرون من لبنان، وشباب من أفغانستان وباكستان وحتى من إيران.

عندما تسرح في خيالك وأنت تشاهد المنظر هناك كأنَّك في الطف ولست في سوريا ومرقد السيّدة زينب عليها السلام خيمتها وليس مرقدها فقط.

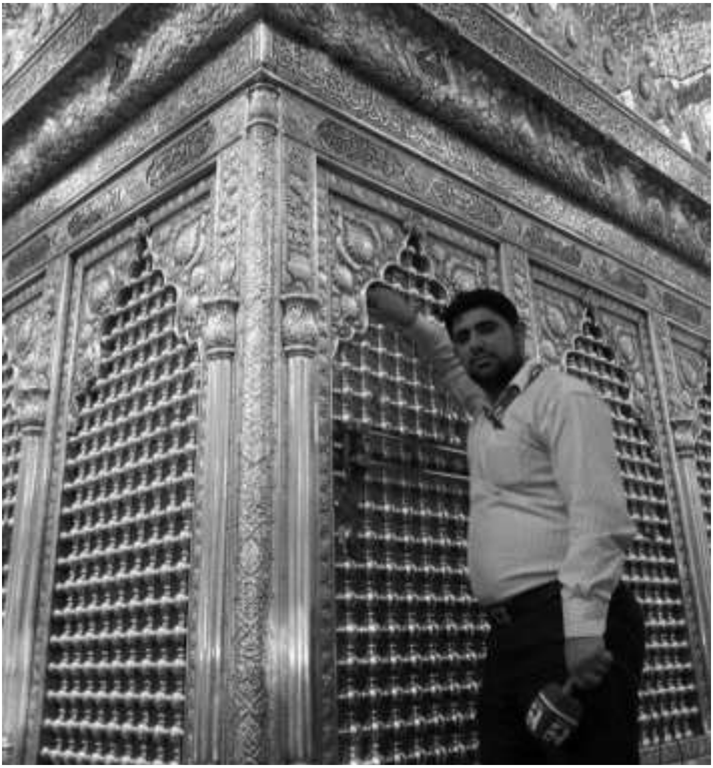

الشهيد علي الانصاري في حرم السيدة زينب عليها السلام

رأيت هناك شابّاً جميلاً صاحب ابتسامة جميلة جدّاً، يحمل بيده كامرة لتغطية المعارك، وأيضاً يحمل السلاح للقتال، أثارني الفضول حينها لأسأله لصالح أي قناة تعمل؟

أجابني قائلاً: أنا أعمل مع فصائل المقاومة الإسلامية، وجئت إلى هنا لأغطّي المعارك.

سألته حينها: كم عمرك؟

قال: ٢٢ عاماً، كان صغيراً، ما هذا الذي تضعه على رأسك؟

قال: كامرة وضعتها في الخوذة؛ ففي بعض المعارك لا أستطيع أن أُصوّر، فقد يُطلب منّي أن أرمي وأُدافع عن نفسي وإلاّ سأموت؛ لذلك وضعتُها على رأسي حتى تبقى تصوّر وأنا أُحارب إن لم أستطع التصوير.

فعلاً هذا الشاب جعلني في حَيرةٍ من أمري؛ ما تلك الشجاعة التي يتمتَّع بها.

قلت له: أنت من أي مدينةٍ في العراق؟

قال: أنا من مدينة البصرة.

تغيّرت المحاور العسكرية ولم أرَ هذا الشاب في اليوم الثاني.

وبعد عدّة أيام من المعارك المتواصلة جمعنا محور آخر مع هذا الإعلامي الحربي، هنا رأيته مرّةً أُخرى يحمل سلاحاً بيده وآخر على ظهره.

طبعاً ابتسمت وقلت له: اليوم بسلاحين وكامرتين، هل نويت تحرير سوريا وحدك وأنت تصور؟!

ابتسم قائلاً: لا، هذه كامرتي التي أخبرتك عنها سابقاً، وهذا سلاحي الشخصي الذي أحمله معي حتى أُدافع به عن نفسي.

- طيّب ما سرّ هذا السلاح الذي تحمله الآن على ظهرك؟ هل هو لصديق؟

- لا، اليوم صباحاً اشتدَّت المعركة كثيراً، وكما تعلم أنَّ أغلب هجمات العدو تكون بعد صلاة الفجر ومطلع الشمس، فبينما حاولوا اشغال أصدقائي بالقتال من هذا الشارع، اخترتُ أنا شارعاً آخر وزاوية أُخرى، أستطيع من خلالها أن أُصوّرَ المعركة بالكامل، كما وأستطيع أن أُظهر العدوَّ ومجاهدينا في إطارٍ واحد.

- طيّب وماذا فعلت؟

- ذهبتُ إلى الجانب الآخر من البنايات فرأيت أحدَ أفراد العدوّ يريد أن يتسلَّل علينا، فكنت له بالمرصاد، وقبل أن تلتقطَه عدستي التقطتُ أنفاسَه.

- ماذا فعلت؟

- أخذت معه سيلفي!!

- حقّاً ماذا فعلت؟

- قتلتُه وغنمت سلاحَه، فهذا السلاح الذي تراه على ظهري هو سلاح ذلك الإرهابي الذي قتلتُه اليوم.

هنا شعرت بالخجل من تلك البطولات وهذا الفتى الصغير، كيف يتحدَّث لي عن معركة لم أرَ لها مثيلاً حتى في أفلام هوليود.

وكيف يبتسم وهو يتحدَّث وكأنَّه في نزهةٍ سياحيةٍ ولم يكن في حرب طاحنة، انتهى واجبي في سوريا.

فأنا ذهبت عدَّة مرَّات في العام ٢٠١٣م والعام ٢٠١٤م، لذلك سيبقى الاعتماد على كوادرنا السوريين هناك؛ لأنَّ الوضع في

العراق بات مُربَكاً جداً، فاستنفرنا كوادرنا المتواجدين في العراق للعمل.

في صباح يوم ٢٠١٤/٥/٣م بثّ خبر على قناتنا مفاده: استشهد المصوّر الحربي وعد الله المنصوري في سوريا، وبينما رفعت رأسي لأُشاهد هذا الشهيد رأيته هو ذلك الشاب الهمام الذي تعرّفتُ عليه في معارك سوريا (وعد الله المنصوري).

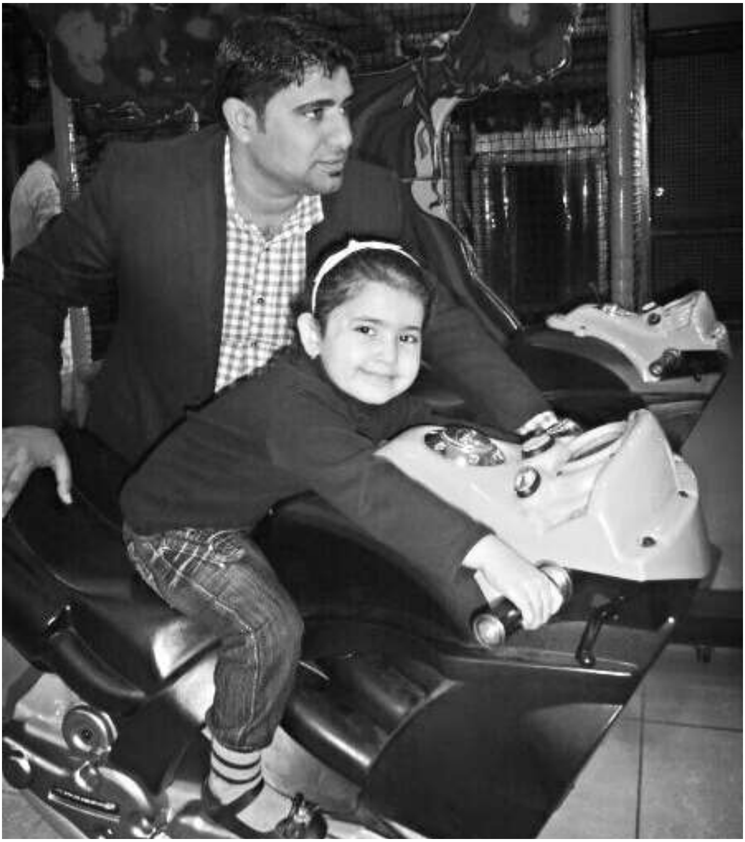

الشهيد علي الأنصاري مع ابنته زينب

مراجعة الطبيب

علي: سنتان منذ زواجي وأنا ما زلت انتظر طفلاً يزيد من سعادة تلك العلاقة السعيدة.

لم يخطر في بالي شيءٌ ولم أُراجع الطبيب؛ لعلمي أنَّ الذريّة رزق من الله تعالى وتقسيمها بيده عزَّ وجلَّ.

ألا إنَّ أسئلة الأقارب والأصدقاء عن سبب التأخّر بالإنجاب يثير نوعاً من القلق في النفس، وبعد مرور سنتين على زواجنا راجعت الطبيب لتشخيص حالتي الصحيّة، وبعد تحليلات عديدة ومراجعات متعدّدة فهمت من شكل وقسمات وجه الطبيب أنَّ هناك مشكلة حقيقيّة تقف خلف تأخر الانجاب.

وفعلاً كانت الاجابة كما تصورتُها، فهناك مشكله تمنعني عن الانجاب، وإنَّ نسبة انجابي شبه المعدومة.

إنَّه شعورٌ حزينٌ عندما تستمع إلى الطبيب وهو يغلق كلَّ الأبواب في وجهك، ويخبرك بعدم قدرتك على الانجاب.

تمالكتُ مشاعري، وضبطتُ نفسي حتى أبقى كما أنا أمام الطبيب، ومثّلت عليه دور مَن لا يهتم بوجود طفل في حياته.

لكن الحقيقة كانت مختلفة تماماً؛ فقلبي يتقطَّع من الحزن.

عدتُ وسألتُه مرَّةً أُخرى ليعيد الأمل لروحي التي تحطَّمت آمالُها: وهل يمكن لي أن أُعالج خارج العراق؟

كانت الاجابة صادمةً جدّاً عندما قال: حتى في خارج العراق لا يمكنك أن تُعالج!!

ازداد حزني حزناً، وطال حديثي مع الطبيب حتى فهمت أنَّ ما حصل لي الآن هو نتيجة ذلك الحادث الذي تعرّضتُ له قبل عدّة سنوات.

أنهى الطبيبُ كلَّ آمالي في إنجابِ طفلٍ، لكنَّ الله تعالى وببركة أهل بيت النبوّة ﷺ لم أقطع الأمل حينها.

خرجت من الطبيب والحزن قد بان على وجهي وقلبي، حتى كدت لا أطيق روحي، فماذا سأقول لوالدتي التي تنتظر حفيدَها من ولدها الوحيد، وحتى والدي الذي يخبرني كلَّ مرَّة: "بابا علي حتى لو خارج العراق يصير لك علاج شكد ما يكلّف أني اتكفّل بيه".

بدأت أُحدّث نفسي وهل سأقضي حياتي بلا ذريّة؟! ماذا سأقول لزوجتي التي تنتظر على أحر من نار تقرير الطبيب وهي مازالت تنتظرني خلف الباب؟

زينب علي الأنصاري وهي في الرابعة من عمرها

تمالكت نفسي بنفسي وخرجت لها، وقبل أن تسألني عن شيء قلت لها: نريد الذهاب إلى كربلاء؟

لم تسألني لماذا، وكأنَّها عرفت الأمر، اتّصلت بأمّي التي تنتظرني لتسمع الخبر السار بلهفة، وقلت لها: أنا ذاهب إلى كربلاء وقد اتأخّر إلى الليل حتى أعود.

لم أخبرها بشيءٍ فهي متلهّفة لسماع الخبر أكثر منّي. ذهبنا إلى كربلاء وهناك بين الحرمين وقفت على باب الله المفتوح الذي لا يرد صاحب حاجة خائباً، لم أقل شيئاً، بل نظرت إلى قبّة مولاي أبي الفضل العبّاس عليه السلام وكانت دموعي هي من تخاطب مولاها، حتى ابتلّ قميصي وأنا ما زلت أنظر إلى قبّة باب الحوائج.

طال وقوفي بين الإمام الحسين عليه السلام وأخيه العبّاس عليه السلام وعيني على التل الزينبي، أدعو وعيناي تدمع وأنا كلّي أمل أن يتحقّق مرادي هنا.

تأخّر الوقت، فالساعة تشير إلى ما بعد منتصف الليل وأنا ما زلت جالساً بين الحرمين.

أمُّ علي: ذهب علي وزوجتُه إلى الطبيب ليعرفوا ما تظهرهُ لهم التقارير الأخيرة، ووالده بين دقيقةٍ وأخرى يتّصل بي ليعرف

ما قاله الطبيب، وأنا كأنَّي أجلس على نار، فقلبي يكاد أن يخرج من مكانه. جميعنا ننتظر هذا التحليل والتقارير الأخيرة، فنحن منذ عامين ننتظر طفلاً وكثرت مراجعاتنا للأطباء، واختلفت علينا عشرات الروايات، فكل طبيبٍ أوطبيبة يقول رواية تختلف تماماً عن التي سبقتها.

نعلم أنَّ هذا الأمر هو رزق من الله تعالى لكن علي هو ولدنا الوحيد وتأخّره لعامين جعلنا نقلق كثيراً، فوالده يسأل في كلّ يوم حتى بات هو الآخر قلقاً من هذا التأخير.

حان المساء ورفُع أذان المغرب وعلي لم يتّصل بعد، زاد قلقي وشعرت بتوتّر أعصابي.

اتّصل أخيراً ولكنّه لم يخبرني شيئاً عن تقرير الطبيب، إنَّما قال لي: أنا ذاهب إلى كربلاء المقدَّسة، فلا تنتظروا مجيئي؛ اذ قد اتأخر.

قلت: ربما التقرير لم يخرج بعد، وإلاّ إذا كان التقرير كاملاً، لرجع إلى البيت ولم يذهب إلى كربلاء المقدَّسة.

تأخّر الوقت وخلدت إلى النوم لأرى في منامي شخصاً يقول لي: لقد تحقّق مراد علي.

جلست مرعوبةً، وأنا أقول مع نفسي: هل هناك شخصٌ ناداني في الحقيقة أو في المنام.

أخرجت هاتفي، واتّصلت بعلي لأقول له: ماذا طلبت؟ فإنَّ شخصاً جاءني ولا أعلم إن كان في المنام أو في الحقيقة لكنَّه قال لي: لقد تحقّق مراد علي.

علي

رنَّ هاتفي وكان المتّصل أُمّي.

- ألو ماما.

- أين أنت الآن؟

- في كربلاء.

- ارجع فمرادك قد تحقّق.

لا أعلم ماذا حدث، لكن كلمة "مرادك قد تحقّق" أشعرتني بالعجب! فما لذي تعنيه بتلك الكلمة.

انتهت المكالمة، وانتهت الزيارة، وعدت إلي البيت لأفهم ما تقوله أُميّ..

حينها قصّت أُمّي لي رؤيتَها. وفي تلك الرؤيا أعادت إليَّ الأمل، حيث بقيت أنتظرُ تحقّقها كلَّ يومٍ، وأقول مع نفسي: في الغد قد يتحقّق المراد؛ لأنَّ وقوفي على باب أبي الفضل العبّاس عليه السلام جعلني على يقينٍ تامٍّ بأنَّ الله سيحقّق لي مُرادي.

حتى أخبرتهم إنْ تحقّقَ المراد سأسمّي ولدي عبّاساً، وإن كانت بنت سأسمّيها زينباً.

مضى ما يقارب الـ (٣٠ يوماً) وأنا ما زلت أنتظر تحقّق أملي، حتى ذلك الصباح المشرق في العام ٢٠٠٩م اذ بصوت أُمّي الحنين الذي أعاد لي أملي، وتحقّق مرادي، ورزقني الله بذرية.

لا أستطيع الآن وصف تلك الحالة التي كنت أعيشها حين اتّصلتْ بي أُمي لتخبرني أنَّ زوجتي حامل.

لكن كل مَن كان حولي عرف من خلال تقاسيم وجهي أنّ شيئاً ما هناك.

زينب علي الأنصاري وهي في الأشهر الأولى من عمرها

تركتُ كلَّ شيء، وعدت إلى البيت مسرعاً، لا أتذكّر كيف سرت في ذلك الطرق؟ ولا كيف مررت بالشوارع الرئيسية؟ كلّ ما أتذكره هو أنَّ تلك الفرحة جاءت بي سيراً على الأقدام.

لم يكن سبب تلك الفرحة العارمة هو الانتظار الذي مرّ عليه عامان، بل سببه هو تحقيق مرادي واستجابة الله لدعائي ولتلك الدموع التي ذرفتها عند بابٍ من أبواب أولياء الله.

مضت الأيام وبان الجنين أنَّه بنت، فكان الاسم المختار منذ البداية إن كان المولود ولداً فعبّاس وان كانت بنتاً فزينب.

وفي ٢٠١٠/٦/٢٣م ولدت زينب في مدينة النجف الأشرف، لتشرق علينا الدار والحياة بطلّتها البهيّة.

كانت فرحة لا تُوصَف عندما حملتُها بيديَّ وأذّنت بأذنها ونطقتُ الشهادتين.

شعورٌ جميلٌ جدّاً أن تحمل طفلَك بيديك، وتشعر بأنَّك كم كنت عزيزاً لدى والديك، فشعورهم لا يقلّ عن شعورك الآن مع طفلك.

في كلّ يومٍ أنتظر يومَها الثاني، وبفارق الصبر أريدها أن تكبر سريعاً حتى ألعبَ معها وأعيشَ معها تلك الطفولة وعمرها الجميل، كلّ يومٍ يزداد تعلّقي بها وهي تعلّقت بي أيضاً، حتى باتتْ تفهم فراقي ومجيئي، وتبكي عندما أذهب وتبتسم عندما أرجع إليها.

وعندما أغيب عنها أياماً بسبب العمل لا تأكل أو تنام، إلاّ عندما تسمع صوتي، وتصرّ على والدتها للاتّصال بي، حتى وإن كان الوقت متأخّراً.

رأيتُ فيها طفلتي الحنونة التي تنسيني ابتسامتُها كلَّ شيء، ورأتْ فيَّ أنَّي صديقها المقرّب الذي يلعب معها ويمرح كلَّ يومٍ، وعندما أغيب عنها يوماً فسرعان ما تعرف ذلك وتشعر بفراق صديقها.

الشهيد علي الأنصاري أثناء التغطية الإعلامية للمناسبات الدينية

هيعونكم صلاتكم كلها قصر

علي:

عندما أُشاهد أصدقائي يذهبون إلى مكان معيّن أقول لهم: خذوني معكم؛ كي أُصلّي قصراً وأعود.

فيبتسمون لي؛ لأردَّ عليهم: (هيعونكم صلاتكم كلها قصر)

في أحد الأيام ذهبتُ إلى كربلاء المقدَّسة مع بعض الأصدقاء قاصدين زيارة الإمام الحسين وأخيه العبّاس عليهما السلام، فأدركنا وقت الصلاة في حرم الإمام الحسين عليه السلام، وقفت لأصلّي، وبينما أنا في النيّة للصلاة قصراً وإذا بي أتذكّر أنّي تحت قبّة الإمام الحسين عليه السلام، وهو من الأماكن التي يجوز للمسافر أن يُتمَّ فيها صلاتَه، انتهبتُ إلى الجانب الآخر فرأيتُ زائراً إيرانيّاً يريد أن يصلّي فقلت له: تعال نتبادل الأماكن، فخذ أنت مكاني وسأخذ أنا مكانَك.

فرح كثيراً وأعطاني مكانَه. وعندما سألني أحد الأصدقاء: لماذا أعطيتَ مكانَك قبل الصلاة للزائر الايراني؟

قلت له: تذكّرت أنَّ تحت القبّة من الأماكن التي يجوز فيها للمسافر أن يتمَّ صلاتَه، وأنا أُريد أن أُصلّي قصراً ولم أشأ أن أُخالف هذا التخيير، فأنا أُحب الصلاة قصراً؛ لذا استبدلت مكاني بمكان ذلك الزائر.

* * *

الشهيد علي الأنصاري مع والده في حرم السيدة معصومة عليها السلام

أموال العمرة

علي:

اتفقنا أنا ووالدتي على جمع مبلغٍ من المال وتقديمه لأبي حتى يذهب لأداء مناسك العمرة، لكن المشكلة الحقيقة لم

تكن في جمع المال، بل هي في كيفيّة إقناع أبي على تقبّل هذا المبلغ، والذهاب به إلى العمرة؟

فعندما يعلم أنَّ أموال العمرة جمعناها أنا ووالدتي وتبرّعنا له بها، فإنَّه سيرفض مهما كان السبب. أخبرت أُمّي بذلك وقلت لها: إنَّ أبي لن يقبل ابداً إن عَلِمَ أنَّ المال منّا.

حينها قالت: أنا لا أعلم، أنت عليك أن ترتّب أمراً يجعل أباك يقبل.

حقيقة شعرت بالعجز فماذا أقول له وكيف أُقنعُه بذلك؟

قبل هذا الحدث بأيّام كنت بمهمّة إعلامية خارج العراق، قلت لأجعل هذا السفر ذريعةً لقبول والدي بفكرة استلام الأموال، فلم تمض على عودتي سوى أيام قلائل.

جئتُه وأخبرتُه بأنّي حصلت على جائزة من عمل نجحت به في هذا السفرة، والجائزة هي مبلغ من المال أُعطي لك للذهاب به إلى العمرة.

قال: كيف هذا؟

أجبته: لا أعلم، هم أخبروني أنَّ هذا المبلغ لوالدك حتى يذهب به إلى العمرة.

حاول أن يقتنع بكلامي ولكنّني شعرت بقناعته أنَّها نابعة من مجاملته لي وليست حقيقيّة.

مضت أيام كثيرة، بل أشهر دون أن يحاول أبي الذهاب إلى العمرة، وفي كلّ مرّةٍ يقول: لا أُريد أن أذهب إلى العمرة، أنا اريد الذهاب إلى الحجّ إن كتبه الله تعالى لي، وإلاّ فإنّي لن أذهب إلى العمرة أبداً.

- طيّب وماذا ستفعل بالمبلغ؟!

- موجود، لقد وضعته جانباً.

حيرّني أبي فكيف لي أن أتعامل مع هذا الموقف؟

طلبت أُمّي لاجتماعٍ طارئ عقد في صالة المنزل فوراً للحديث عن كيفيّة استرجاع المبلغ المالي من والدي الذي بيّن لنا رفضه التام للذهاب به إلى العمرة.

قالت: ماذا ستفعل بالأموال إن عادت إليك؟

أجبتُها: سأشتري لكِ بتلك الأموال أثاثاً، وهذا أفضل من أن يبقى المبلغ مجمّداً لدى والدي.

انتهى الاجتماع بقرار سحب الأموال من والدي.

ذهبت إليه بعد عدّة أيام من كلامنا الأوّل؛ كي لا ينتبه إلى الوقت والتاريخ، ويشكّ أنَّ هذا العمل معدّ سلفاً.

قلت له: بابا إنَّ الأخوة الذين كرّموني بالمال لأجل ذهابك إلى العمرة، علموا عدم رغبتك بالذهاب؛ فلذلك قالوا لي: إن لم يذهب والدك أعد لنا المبلغ.

فرح كثيراً وكأنَّه يريد ازاحة جبل من على صدره، ذهب وأحضر المبلغ كاملاً بنفس الهيئة التي سلّمتُه بها إليه.

أكملت المبلغ واشتريت به أثاثاً لمنزلنا.

عندما علم والدي بهذا السيناريو بشكلٍ كامل، ابتسم وأخبرني أنَّه كان على يقين بأنّي وأُمّي مَن دبّرنا له هذا الفلم حتى يذهب إلى العمرة.

* * *

الشهيد علي الأنصاري بعد نجاته من عجلة مفخخة في أحد العمليات العسكرية

علي مندفع

السيّد مضر البّكاء:

بحكم عملي كمدير لمؤسسة اعلامية أطّلع على بعض الأرشيف الخاص بالعمليات العسكريّة وبعض الانتاجات؛ لأُبدي رأيي وملاحظاتي إن وجد هناك شيء.

أثناء مشاهدتي واطّلاعي على فيديوهات العمليات، وانشدادي مع بعض المشاهد فيها، لفت انتباهي صوت علي الذي يتحدّث مع المجاهدين، أو يعلّق أثناء الرماية أو أثناء

تعرّضهم لسيارة مفخّخة، وأنا أُشاهد تلك الفيديوهات شعرت بالخطر على علي واندفاعه في المعركة، فهو لا يبالي من شدّة الرصاص وأزيزه الذي أسمع صوته الآن، ربما لم يكن خوفي عليه لشخصه هو، بقدر خوفي على والده ووالدته الذين لا يوجد لديهم سواه في هذه الدنيا، وهذا كان سبب خوفي عليه.

تكلّمتُ معه أكثر من مرَّة، وحاولت إلهاءَه بأعمال أُخرى قبل انطلاق العمليات؛ كي ينشغل ولا يتمكّن من الذهاب، لكن من دون جدوى، ففي كلّ مرَّةٍ وفي كلِّ موعدٍ من مواعيد العمليات أجده أمامي هناك، وعندما أسأله ما الذي جاء بك يجيبني بتلك الابتسامة التي أعلم أنَّه لو ابتسمها فإنَّه لا يريد الإجابة؛ لذلك قررتُ الذهاب إلى والديه بعد انتهاء تلك العمليات واخبارهم بأنَّ علي في وسط النار والرصاص، وقد يصلكم نبأ استشهاده في أي ساعة.

قلت مع نفسي: عندما أقول لهم ذلك سأرتاح ولا أبقى قلقاً في داخلي عليه، وهم بدورهم يتكلّفون بمنعه من الذهاب مرَّةً أُخرى.

ذهبت إليهم بعد انتهاء تلك العمليات وجلست أحدّثُهم عن العمليات وصعوبة المعارك وأعداد الشهداء؛ من أجل اخافتهم وتهيئة الأرضية قبل البدء بالحديث الخاص عن علي. وفعلاً بعد انتهاء حديثي عن العمليات وشراستها، شرعت بالحديث عن علي وقلت لهم: إنَّ عليّاً لا يبالي من شدّة الرصاص، وهو مندفع جداً في العمليات العسكرية وربما يستشهد بسبب اندفاعه، وها أنا قد جئت اليوم كي أخبرَكم لتتحدّثوا معه الآن، أمّا أنا فقد تحدّثتُ معه كثيراً وهو لا يبالي أنَّه وحيدكم.

أجابني أبو علي قائلاً: سيّدنا والله أنا أُريدُه هكذا، لا يُنزل رأسَه عندما يسمع صوت الرصاص، وأن يبقى شامخاً في كلّ العمليات العسكرية حتى وإن كان وحيدي، فهذا جهاد.

دبَّ اليأس في قلبي بعد سماع كلام أبي علي، فبادرت إلى أُمّ علي أسألها وأنتِ يا أمَّ علي ماذا تقولين؟ وهدفي من هذا

السؤال هو استنهاض تلك العاطفة الكامنة في قلبها تجاه ولدها الوحيد.

قالت: "سيّدنا هذا جهاد، والمرجعية انطت أمر جهاد، اشلون تريدني أن أطلب منه عدم الذهاب مرَّة أُخرى، أنا على يقين أنَّه خرج لنصرة الإمام الحسين عليه السلام؛ لذلك لا أخاف عليه".

خرجت من البيت والدهشة تعتريني. نعم، لم يكن هذا الشيء غريباً عليهم فهم من عوائل المجاهدين والشهداء، لكن عندما يصل الأمر إلى ولدهم الوحيد ويكون هذا ردّهم فحقّاً إنَّهم مجاهدون.

لماذا أنت حزين؟!

أحد أصدقاء الشهيد:

- لماذا أراكَ حزيناً هكذا، على غير طبيعتك ما بك؟!

- لا شيء، إنَّه أمرٌ يشغل ذهني سأخبرك عنه لاحقاً.

- أنت ما الذي جاء بك اليوم؟

- أنا بعد غدٍ سأذهب إلى مشهد، وأنت غداً تذهب إلى العمليات العسكرية؛ لذلك أتيت لكي أُودّعَك، لكن هذا المرَّة أراك مهتمّاً بي على غير عادتك، وأيضاً صامتاً، لم تتحدّث منذ أن جلسنا وإلى الآن وكأنَّ شيئاً ما هناك؟!

- اترك أمري، وتكلّم لي عن أمرك أنت، متى ستتزوّج؟

- أنا متى أتزوّج؟!! ماذا حصل لك؟! هذه أوّل مرَّة تسألني عن زواجي وأراك جادّاً بسؤالك؟

- نعم تزوّج، لماذا أنت إلى الآن لم تتزوّج؟

- وهذا هو الأمر الذي يغضبك ويجعلك حزيناً إلى هذا الحدّ؟!

- لا، الذي أزعجني وأحزنني اتصال السيّد البكّاء قبل مجيئكم لي بدقائق.

- ماذا أراد منك؟

- يريد منّي أن لا أذهب غداً إلى العمليات العسكرية، وأخبرني بعدم الذهاب مرَّةً أُخرى مستقبلاً.

- طيّب، ولماذا أنت حزين؟! فالسيّد البكّاء ـ يا علي ـ رجلٌ يقدّر وضعَ أهلك وأنت وحيدهم، وهم كبار في السن، ويحتاجون لأن تكون معهم لا في الجبهة، وأنت شاركت، وكانت لك مشاركة حتى في سوريا؛ لذلك اسمع كلام البّكاء ولا تذهب.

- لا يا عزيزي أنا لا أريد أن أبقى هنا في النجف الأشرف وأُشاهد المعارك من خلال التلفاز، أنا أُريد أن أكون هناك مع المجاهدين، فهناك هو موقعنا الحقيقي، وهنا لا شيء سوى الكلام.

- اذاً ماذا أنت فاعل؟

- تكلّمت مع السيّد وأخبرتُه هذا المرَّة فقط أُريد الذهاب، لكنَّه رفض وقال: "أنت متعب، وقبل يوم واحد وصلت من السفر، وأهلك لم يروك بعد"، وقال أيضا: "تمَّ تكليفُك بإدارة عمل قسم تراث الشهداء". فوافقت على استلام هذا القسم

لكن بشرط أن أذهب إلى هذه المعركة، فرفض السيّد البكّاء، ولكنّني أصررتُ عليه، وأقسمتُ له بأنّي سأُشارك في هذه المعركة فقط!!

- علي! يا عزيزي اسمع كلام السيّد وابقَ هنا؛ لتكمل هذا القسم وتعمل فيه، فهذا العمل أيضاً عمل جهادي، إلاّ إذا كنت ترى أنَّ الجهاد في حمل السلاح فقط، هذا عمل للشهداء وهو جهادٌ أيضاً.

- إن شاء الله إن عدنا من هذا الواجب سأعمل على هذا القسم، وإن حقّق لي الإمام الرضا عليه السلام مرادي ففي تلك الساعة سيتغيّر هذا الحديث.

- وماذا طلبت من الإمام عليه السلام؟

- إن شاء الله إن تحقّق الطلب ستعلم ماذا طلبت.

يقول السيّد مضّر البكّاء:" اتصلت بعلي قبل ذهابه إلى هذا الواجب وطلبت منه عدم الذهاب لسبب أنَّه كان متعباً، لكنَّه رفض.

طلبت منه أن يتولّى الإشراف على قسم تراث الشهداء فهو قسم جديد ولدينا ارشيف عسكري متكامل بحاجة للعمل عليه، إلا أنَّه تحجّج بجمع الأرشيف مرَّة أُخرى، وإنَّ هذا الواجب هو الأخير. فوافقت بشرط أن يكون آخر واجب ووعدني بذلك.

حقيقة لم أَخَف على (علي) بقدر خوفي على والديه؛ فهم كبار في السن ويحتاجون إليه كثيراً، وعليٌّ مندفع جداً في العمليات العسكريّة، رافقته في أكثر من عمليةٍ وكنت أرى بأمّ عيني كيف يدخل المعارك وكأنَّه في سباقٍ مع الرصاص؛ لذلك أخبرتُ والده ذات مرَّةٍ أنَّ عليّاً لم يخبركم الحقيقة عندما يقول لكم أنا أذهب للخطوط الخلفية، ففي الواقع هو في الخطوط الأماميّة، وفي بعض الأحيان ينقل لي مَن يرافقونه بأنَّه نجى هذا المرَّة بأعجوبة؛ لذلك أنا أخبرتكم كي تصرّوا عليه وتمنعوه من الذهاب.

عندما قلتُ لهم هذا الكلام كنتُ أأملُ أن أجد منهم اهتماماً بالموضوع ووقفة بوجه علي.

لكن ذلك الأمل تهدّم عندما سمعتُ أبا علي يقول: "عمّي! أنا أُريد علي أن يكون في الخطوط الأماميّة، وإن كان في الخطوط الخلفية فهو ليس ابني، فأنا الآن أشعر بالسعادة عندما أخبرتني بأنَّه يدخل المعركة ولا يهاب الرصاص؛ لأنّي قد ربّيتُه على أن لا ينحني عندما يسمع صوت الرصاص أو يستسلم".

- اذن لماذا أنا أتكلّم معكم إذا كان هذا ما تريدونه فعلاً، أمَّ علي! أنتِ ما تقولين؟!

أجابت: فبالرغم من خوفي عليه وقلقي وما يصيبني من رجفة عندما يذهب إلى ساحات الجهاد، لكنّني فرحة من أعماقي؛ لأنَّ ولدي يلبّي فتوى الجهاد.

حينها بقيت صامتاً ولم أجب بشيء.

الشهيد علي الأنصاري بعد تحرير ناحية جرف النصر

بويه علي

أمُّ علي:

في العام ٢٠١٥م ذهبت إلى إيران لإجراء عملية لعيني التي أعاني منها نتيجة عدم قدرتي على الرؤية بها، بسبب الماء الأسود.

حزمنا حقيبتينا معاً استعداداً للسفر معاً، وكالعادة أخذ حقيبتي وأكمل لي كلَّ الاجراءات في داخل المطار، كانت تذكرتي إلى طهران أمّا هو فكان ينوي الذهاب إلى مشهد المقدَّسة.

في اليوم الثاني من وصولي إلى الجمهورية الإسلاميّة توجّهت إلى الطبيب لإكمال العملية، وبالفعل تمّت ـ بحمد الله تعالى ـ بنجاح وخرجت من صالة العمليات بعشرات التوصيات من الطبيب؛ لأسباب قد تفشل العملية إن حدثت لا سمح الله.

بعد ساعات من خروجي اتصل بي علي من مشهد المقدَّسة ـ التي بقي فيها يوماً واحداً فقط ـ ليطمئن على اجراء العملية وتكلّلها بنجاح.

أخبرني بعد الاطمئنان عنّي، أنَّه سيعود غداً إلى النجف الأشرف.

علي:

اتصلت بأمّي لأطمئنَّ على وضعها الصحي بعد خروجها من العملية، كما أخبرتُها أنّي سأعود غداً إلى النجف الأشرف. أنهيت الاتصال معها، وعدت إلى حرم الإمام الرضا عليه السلام لأطلب حاجتي، عندما وصلت إلى ضريح الإمام عليه السلام وأنا تحت قبّة أنيس النفوس، جرت دموعي بلا شعور، وكنت أنظر صوبَ قبر الإمام عليه السلام فقط.

استجمعت قواي لأطلب منه أن يحقّق أُمنيتي، فقلت له: لقد عدت إلى زيارتك اليوم لأطلبَ منك أن تكون شفيعاً لي إلى الله تعالى كي يرزقني الشهادة.

ربما لم أكمل كلمة الشهادة حتى تذكّرت أُمّي وأبي وابنتي زينب وزوجتي وكلَّ أحبّتي. ماذا سيفعلون لو تحقّق طلبي.

أخرجتُ هاتفي وأرسلتُ صورةً مباشرة إلى زوجتي التي سألتني عن سرّ بكائي، أخبرتها بأنّي طلبت من الإمام طلباً إن تحقّق، فستعلمين ما هو الطلب.

أمُّ زينب:

أرسل لي صورةً مباشرةً من داخل حرم الإمام الرضا عليه السلام وقال: هنا طلبتُ طلباً خاصّاً من الإمام لا أُخبركِ بهِ الآن، ولكن عندما استشهد ستعرفين سرَّ ذلك الطلب.

شعرتُ بالخوف عليه عندما قال: "ستعرفين سرَّ ذلك الطلب"، كما وشعرتُ بالأمن عندما قال سأستشهد؛ لأنّي كنت أظنُّ أنّ مَن ينال الشهادة يكون كبيراً في العمر أو غير متزوّج، وعليّ ليس منهما، فهو ليس كبيراً في السنّ كما وأنَّه متزوّج، وعلى كلّ حال فـ (علي) خارج تلك المعادلة. كان حبّي له يمنعني من أن أتصوّر أيَّ صورةٍ أُخرى مهما كانت.

أبو علي.

١/٢١ / ٢٠١٥م اتصل بي علي ليخبرني أنَّه عاد اليوم من مشهد، وأنَّه سيلتحق غداً إلى بغداد، وبعدها إلى ديالى حيث العمليات العسكرية هناك.

سألتُه: هل ستتأخّر في هذا الواجب؟

قال: كلا هذا الواجب سينتهي في يومٍ واحد، فهناك مدينة صغيره سنحرّرها في نفس اليوم ونعود إن شاء الله.

الشهيد علي الأنصاري مع والده في مدينة قم المقدسة

علي:

اتصلت بوالدي لأُخبرَه بعودتي إلى العراق وأخبرتُه أنّي سألتحق غداً إلى الواجب. سألته متى سينتهي واجبه ويعود إلى البيت، أخبرني بعد يوم.

حينها قلت له: عندما تكون على مقربة من الوصول إلى النجف اتصل بي؛ كي أُرسل لك أمَّ زينب لتكون في خدمتك؛ لأنَّ البيت فارغ وأنت ستكون مرهقاً.

أبو علي:

لم يكن الاتصال طويلاً، لقد اكتفى بسؤالي: متى تعود إلى البيت؟ أخبرتُه: غداً إن شاء الله سأكون في النجف الأشرف.

قال لي بعد ذلك: غدا سأشترك في العمليات العسكرية شمال محافظة ديالى.

أوصيتُه كالعادة بالحذر، لكنَّ قلبي ظلَّ يؤلمني عندما أردت أن أنهي الاتصال معه، وكأنَّي لن أراه فيما بعد.

حان الليل، وذهب كلُّ مَن معي ليخلدوا إلى النوم، إلاّ أنا بقيتُ مستيقظاً بقلبٍ تشتعل فيه جمرةٌ لا تقلُّ حرارةً عن السيجارة التي أضعها بين أصابعي.

كلّ مرَّةٍ يتّصل بي ويخبرني أنَّي غداً سأُشارك في العمليات العسكريّة، لكن احساسي تجاه علي هذه المرَّة كان مختلفاً

تماماً، فعندما أوصاني، وسلّم عليَّ، وأغلق الهاتف، كانت عقارب الساعة تشير إلى ما بعد منتصف الليل.
كنت أشعل السيجارة التالية بالتي قبلها ومن دون شعور أخرجت هاتفي واتّصلت بعلي من جديد، لكن الوقت كان متأخّراً هذه المرَّة، أجاب وكالعادة بطريقته الهزلية التي اعتدت عليها: "أهلاً أبو علي، شلونك؟ شخبارك؟ شنو وين ما وين؟ لا تخابر ولا تسأل؛ صدك .. جذب".

كان يتكلّم معي ويمزح وأنا صامت لا أعلم ماذا أقول له حتى تنطفئ تلك النار التي شبّت في قلبي عليه، انتبه لصمتي وقال: بابا لماذا تتصل بي في هذا الوقت المتأخّر من الليل؟

لم أجد أيَّ اجابة لسؤاله ذاك سوى أنّي قمت بسؤاله: أين أنت؟

- أنا الآن في مقر العمليات، وغداً سنشرع بالهجوم، إن شاء الله تعالى لن تتأخّر العمليات كثيراً، وسأكون بعد غدٍ في البيت.

أمُّ زينب:

في ليلة ٢٠١٥/١/٢٢ م بينما كنت منشغلةً بتجهيز حقيبته العسكرية، نادى عليٌّ زينباً بصوت منخفض، ربما لم يشأ أن أعرف ماذا يريد، ولكنّي ظننتُه يريد اللعبَ معها أو أن يمازحها.

- بابا زينب .. زينب، اتركي ما في يدكِ وتعالَي إلى هنا، تعالَي كي تري شيئاً جميلاً في حاسوبي.

رأيتُه فتحَ اللابتوب، لكنّي لم أرَ ماذا شاهدتْ زينب حتى أتت إليَّ وقد سالتْ دموعها على خدّيها، سألتُها: ها لم تتحمّلي اللعب مع بابا.

قالت: لا، بابا فتح لي الحاسوب وأخرج لي مقطعاً يضحك فيه ويتكلّم، وعندما سألتُه عن هذا الفيديو قال "هذا فيديو جهّزته لنفسي يسمّى فاصل، فاذا استشهدت سترينَه على قناة الغدير".

- ما هي الشهادة يا بابا.

- حبيبتي يعني أذهب بعيداً عنكما وأترككما أنتِ وأمكِ.

بكتْ وقامتْ حتى أحسستُ بدموعها التي حاولت إخفائها عنّي.

بكيتُ بلا شعورٍ، فحطّت دموعي رحالَها في الأرض قبل أن أصل إليه. علي! ماذا قلت لزينب؟ وماذا أريتها؟ لماذا تبكي هكذا؟ هل أنتَ ناوٍ على الرحيل بعيداً عنّا؟ وماذا يعني سأترككما؟ صمت دون جواب فأكملت: علي هل تسمعني؟

هل فعلاً نويت الرحيل عنّا؟ هل ستتركنا وحدنا؟ ابتسم، ولكنَّها لم تكن تلك الابتسامة التي أراها كلَّ مرَّة، كانت هذه المرَّة مختلفة.

- ما بكِ يا حبيبتي، أين سأذهب؟ أنا أمزح مع زينب، هل وجهي وجه شهيد؟ ألم أُخبركِ مراراً وتكراراً أنَّ عمري عمر (تفكة)[1]، لا ينتهي بسرعة.

حاول أن يمزح معي ويضحكني حتى يُنسيني الموضوع، ولكن قلبي كان يؤلمني وأشعر به ينبض سريعاً كنت أشعر بشيءٍ غريبٍ هذه المرَّة، حتى حديثه مع أصدقائه الذين قدموا لتوديعه كان غريباً ومختلفاً.

عاد إليَّ وسألني: هل أعددتي الحقيبة؟

أجبتُه: لا، لم أُتمّها ولن أفعل ذلك؛ فإنّي لا أُريد أن أُكملها، أُريدك أن تبقى ولا ترحل؛ لأنّي أشعر بالقلق من رحيلك هذا.

(١) يُستعمل هذا التعبير كمثل شائع في العراق، كناية عن طول عمر الإنسان، كالبندقيّة التي يطول أمد استعمالها؛ لأنَّها تعمّر طويلاً.

- لا شيء يا حبيبتي، لن أغيب عنكم هذه المرَّة سوى يوم واحد، وسأعود اليكم؛ لأنَّ المعركة بسيطة، وحتماً سنحرّر المنطقة ونعود منتصرين بأذن الله تعالى.

لم يهدأ لي بال تلك الليلة، ولم أنم كما في السابق، شعرت بأنَّ أنفاسه مختلفة عن الليالي السابقة. كانت الليلة الوحيدة الذي تمنّيت فيها أن لا ينتهي الليل وأن لا يخرج علينا الصبح حتى يبقى معي .. لكن دعائي لم يستجب، فالليل انتهى ورحل آخذاً معه أُمنياتي ولم ينتظرني الصباح.

بزغ الفجر ورنَّ منبّه الهاتف، فأستيقظ علي وهو يظنّ أنّي نائمة، جمعَ كلَّ شيءٍ بسرعة وبهدوء تامّ، كأنَّه لا يريد أن أستيقظ إلاّ أنّني جلست وما إن رآني أقف خلفه قال لي: ها .. استيقظتِ، لم أرد إيقاظكِ، ابقِ نائمة.

- أنا لم أنم طيلة الليلة السابقة، لقد شعرت بشعور غريب تجاهه.

- ما بكِ لا تخافِ. ثم خرج وحقيبتُه على ظهره وسلاحُه بيده، وما إن وصل إلى خارج الغرفة حتى عاد إليَّ، ظننتُ أنَّه نسي شيئاً فبادرت إليه أسأله: ما بكَ هل نسيتَ شيئا؟

الشهيد علي الأنصاري وهو يودع عائلته اثناء خروجة للواجب العسكري

- لا، لكن اهتمّي بزينب كثيراً وانتبهي لها، فهي أمانة لديكِ.

- ما بك علي؟ لماذا توصيني بزينب اليوم؟

- لا شيء إنّها مجرد وصية.

لم يكمل علي وداعَه حتى استيقظت زينب، كانت المرَّة الأولى التي تستيقظ فيها زينب صباحاً، ذهب إليها واحتضنها بلهفة وكأنَّه رآها بعد فراق طويل، أو لعلَّ هناك أمراً آخر، لا أدري.

وضعها على الأرض وعاد ليحمل حقيبتَه وذهب، ركضت زينب خلفه وهي باكية، الموقف الذي يحدث لأول مرَّة، فعشرات المرَّات خرج علي ولم تبكِ زينب خلفه، ماذا جرى اليوم حتى استيقظت مبكّراً وخرجتْ خلفه تبكي؟

بدأت الأسئلة تدور في رأسي، والخوف ينتابني ويشتدّ رويداً رويداً.

وصل علي إلى بغداد وفي ليلة ٢٣/١/ ٢٠١٥م، تواصل معي وأخبرني بأنَّه سيتوجّه غداً إلى ديالى، وقال: إن شاء الله لن أتأخّر عليكم، فغداً سأعود إليكم بعد أن تتحرّر المدينة. ولأوّل مرَّة أيضاً يقول لي ـ قبل أن يغلق الهاتف ـ ادعو لي!!

أبو علي.

التاريخ الذي نال فيه علي الأنصاري شرف الشهادة

يوم ١/٢٣ وصلت إلى مدينة النجف صباحاً من محافظة ميسان حيث مقرّ عملي، فأنا أعمل منتسباً في الدفاع المدني هناك وهو عملي قبل هجرتي إلى الجمهورية الإسلامية. فعلاً وجدت أمَّ زينب تنتظرني في البيت وجهّزت الطعام لي.

– لماذا أتيتي؟ لقد اعتدت إعداد الطعام لنفسي.

– لا عمّو، أخبرني علي البارحة أنَّك ستأتي من الدوام، فأتيت إلى هنا حتى أعد لك الطعام.

أكملت صلاتي وجلست أنتظر الغداء.

سألتها: هل اتصل بكِ علي اليوم؟

قالت: كلا.

- هل اتصلتِ به؟

- نعم اتصلت به عشرات المرّات ولم يجبني، لقد كتب لي رسالة يخبرني بها أنَّ العمليات العسكريّة ستبدأ بعد ساعات وأنا الآن قلقلة عليه جداً.

أخبرتها أنَّ هذا الأمر طبيعيٌّ جداً، فقد لا يسمع الموبايل أو ربما يُمنع استخدامه في العمليات.

صبّرتها نعم، ولكن أنا أحسست بنار قد هبّت في قلبي، لماذا لا يجيب علي؟

السيّد مضر البكّاء:

في يوم (١/٢٣ / ٢٠١٥م الساعة ١١:٣٠ ص) اتصل بي أحد الأخوة ليبلغني بإصابة علي في ساقه وهو في حالة جيدة ولا داعي للقلق.

لحظة إصابة علي الأنصاري في عمليات المقدادية التي أدت إلى استشهاده

طبعاً لم أُخبر زوجتي ـ شقيقة علي ـ بذلك حتى يبقى الوضع هادئاً وأتأكّد أنا أوّلاً.

ذهبت إلى غرفتي من أجل أن أُغيّر ثيابي واخرج إلى القناة.

اتصل بي الشخص ذاته وأخبرني بأنَّ اصابة علي خطرة جدّاً، وأنَّه لم يتأكّد من صحة المعلومة أيضاً.

اتصلت كثيراً بالأخوة الذين يرافقون علي لكن لم يجب على اتصالي أحد، الأمر الذي أقلقني كثيراً، لماذا لا يردّون؟

بان القلق على وجهي أمام عائلتي، حتى بدأوا يتساءلون عن سبب قلقي.

لكن احاول أن لا أُجيبهم وألهيت نفسي بالاتصالات، خرجت إلى الباب عدّة مرّات حتى اتوجّه إلى القناة، وفي الطريق اتذكّر أنّي ما زلت ألبس ثياب البيت ولم أُغيّر ثيابي، هذا الأمر جعلهم يتأكدّون أكثر بأنَّ هناك شيئاً لا محالة.

اتصلت مرَّةً أُخرى بأحد الأصدقاء الذين يرافقون علي أجابني وهو يبكي لكنّي تحجّجت بعدم سماع صوته بشكلٍ واضح، حتى لا أسأل عن سبب بكاءه مع أنَّ بكاءه كان واضحاً.

ربما لم تطل مدّة المكالمة سوى دقيقة واحدة فقط، لكن تلك الدقيقة كانت أصعب دقيقة مرّت علي، لقد تأكّدت منها أنَّ عليّاً نال شرف الشهادة.

كنت أُحاول اقناع نفسي، بأنَّ هذا كلّه مجرد وهم، والآن سيخبرني أنَّ عليّاً سليم ويتمتّع بصحة جيدة، وسيعاود الاتصال بي وأتحدّث مع علي من جديد.

لكن كل هذه الاحلام تلاشت بتلك الدقيقة التي أُخبرت فيها برحيل علي شهيداً.

أغلقتُ هاتفي وأنا ما زلتُ أُحاول الامساك بمشاعري أمام عائلتي التي هي جزء من عائلة علي.

الدقائق الأولى لإصابة علي الأنصاري التي وثقها بنفسه

لكن لم يكن هذا همّي الأكبر، فحتى وإن علمتْ عائلتي بطريقةٍ ما، ولكن كيف سأخبر أبا علي برحيل ولده الوحيد؟ وكيف ستتلقّى أُمّه الخبر وهي خارج البلاد؟ ومَن سيكون معها حين تعلم برحيل ولدها الوحيد؟

كلّ القنوات تناقلت خبر شهادة علي، وما بقي لبثّ الخبر إلاّ دقيقة، وعليَّ أن أُخبرَهم قبل سماع الخبر من خلال نشرة الأخبار، أو من خلال عالم التواصل الاجتماعي الذي عجَّ بالخبر خلال دقائق.

اتصلت بأخي الأكبر وهو رجل دين وقريب من بيت أبي علي، وطلبت منه أن يذهب إليهم ويتحدّث مع أبي علي ويخبره برحيل علي، ولكن أخي عندما سمع رحيل علي لم يواصل معي حتى لاستماعي واعتذر من إخبارهم.

لم يبقَ أمامي إلاّ أن اتصل أنا بأبي علي.

أبو علي:

اتصل بي السيّد البكّاء وسلّم عليَّ بكلِّ هدوء، وأخبرني بأنَّ عليّاً قد تعرّض للإصابة، وعلينا أن نذهب إلى بغداد الآن، واصابته لا تستدعي القلق؛ فهو مصاب بساقه.

لم أعلم حينها بماذا أرد عليه، لكنّي حاولت اقناع نفسي بكلامه وتصديق قوله.

إلاّ أنني في الحقيقة لم أنم ولم أذق طعمَ النوم منذ ليلة البارحة؛ قلقاً على علي فحتماً هناك شيء ما؛ لأنّي أشعر بشيءٍ غريب جداً.

حاولت امساك مشاعري أمام ابنته وزوجته التي بين دقيقةٍ وأُخرى تسألني ماذا قال لك السيّد البكّاء؟

أخبرتها بأنَّه قال لي: إنَّ علياً أُصيب بإصابةٍ طفيفةٍ، وأنا الآن سأقوم وأغيّر ثيابي حتى أنتظر السيّد يأتي إليَّ ونذهب معاً إلى بغداد.

أمُّ علي:

وصلتني رسالة مفادها اصابة علي بساقة، أحسست بنارٍ شبّت في قلبي لكن كلمة ساقه جعلتني اهدأ كثيراً، فقد لا تكون الاصابة خطيرة فهي بساقه، واصابة الساق ليست قاتلة غالباً.

أخبرتُ ابنتي ـ التي تعيش في إيران وكنت عندها ـ أن تجهّز لي حقيبتي؛ كي أرجع إلى العراق في نفس اليوم ولو في وقتٍ متأخّر من الليل، فليس هناك أحد في البيت سوى زوجة علي ووالده، بينما علي مصاب.

بدأت أُجهّز حقيبة سفري، وكانت أُختي تجهّز حقيبتَها أيضاً وزوجها أيضاً كان يحضّر حقيبتَه هو الآخر؛ سألتهم لماذا تجهّزون حقائبكم؟

قالوا: نريد مرافقتكِ كي نطمئنّ من وضعية علي.

قلت لهم: الأمر لا يستدعي ذلك؛ فإصابته طفيفة، وأنا تكلّمت مع أبي علي وأخبرني أنَّ الاصابة في ساقه، فلماذا تتحمّلون عناء السفر معي؟

رفضوا البقاء، وأصرّوا على مرافقتي، الأمر الذي جعلني أتساءل لماذا يريدون الذهاب معي؟

رأيت وجه ابنتي، الذي لم يكن على ما يرام، فربما خبر اصابة أخيها جعلها تقلق وتخاف عليه.

كنت أتساءل وأجيب على تلك التساؤلات بنفسي.

لكنّ من كان حولي جعلني أقلق وكلّ تساؤلاتي تجاب بـ"لا شيء".

السيّد البكّاء:

خرجت مرَّةً أُخرى ولم أُغيّر ثيابي، ولم أستطع اخفاء ملامح الحزن على وجهي بعد سماع خبر رحيل علي؛ لذلك أخبرت عائلتي أنَّ عليّاً أُصيب وهناك أخبار تقول: إنَّه قد استشهد لكن تلك الأخبار غير مؤكّدة.

وضعت عائلتي بين الشك واليقين؛ حتى أُسيطر عليهم وأوصلهم إلى بيت أبي علي من دون أي ارتباك.

اتصلت بالأخوة العاملين في القناة وطلبت منهم التوجّه إلى دار أبي علي؛ لعلَّ هذا الجمع يخفّف عنه صدمة رحيل ولده.

أعدت الاتصال به مرَّة أُخرى لأخبره أنَّ اصابة علي قويّة جداً وربما نفقده في أيّ ساعة لذلك أُخبرك حتى تكون جاهزاً، قلت ربما يخفف هذا الأمر صدمة الخبر لديه.

حينها أجابني بكلمة لم أستطع بعدها أن أبقى على اتصال به، ولا حتى الرد عليه، حين قال: "عمّي مضر جيبلي علي حتى لو بس نفس يصعد وينزل واشوفة كدامي".

أمُّ زينب:

" صعقتني تلك الكلمات حتى صرت أصرخ بشكلٍ لا ارادي، ويصدر منّي بلا شعور، عندما سمعت كلام عمّي مع السيّد مضر"

البكّاء: اعدت الاتصال مرَّة أُخرى وهذا ثالث اتصال به خلال أقل من ساعة فقط.

حينها كلّمته وأنا أُحاول السيطرة على مشاعري: عمّي! أنت إنسان مجاهد ومعروف في ساحات الجهاد، وأنت من عائلة كريمة أخصها الله بالشهداء، لذلك...، لم أكمل كلامي حتى سمعت صوتاً لم اسمعه منه من قبل، صوت أنهى كلَّ وجودي حين قال (بويه علي).

والد الشهيد علي الأنصاري وهو يحتضن جثمانه الطاهر في المغتسل

عندما سمعت هذا الكلام أحسست بقلبه قد خرج من صدره، ولم تكن كلمة (بويـــــــــــه علي) كلمة.

أمُّ زينب:

انشغلت ولا أعرف ماذا جرى هل أُصدّق مشاعري أو قول عمّي الذي أخبرني أنَّ علياً مصابٌ فقط.

اتصلت بالسيّد البكّاء لكنَّه لم يجبني رغم أنّي أعدت الاتصال به أكثر من مرَّة، اتصلت على هاتف علي حيث كان مفتوحاً ولم يجبني أحدٌ، وبعدها قد أُغلق الهاتف.

بقيت ممسكة بزينب وأنا جالسة أنتظر أيَّ كلمة تعيد لي الأمل.

رنَّ جرس البيت وسمعت عمّي يقول: "ذوله صحبان علي اجو يطمئنون عليه".

بينما هو يريد أن يفتحَ لهم بابَ البيت حتى يدخلوا إلى الحديقة، رنّ الهاتف كان حينها المتّصل السيّد البكّاء، الذي لا أعلم ماذا قال لعمّي حتى سمعته صرخ بصوت "بويه علي".

هذا الصوت أنهى كلَّ أحلامي التي رسمتها لنفسي حتى أقول مازال عليّ حيّاً.

عجَّ بالصراخ كلُّ مَن في البيت، حتى الذين كانوا يعلمون برحيل علي لكنَّهم انتظروا وصول الخبر إلى عمّي بطريقةٍ مناسبة؛ كي لا يُصدم.

السيّد مضر البكّاء:

لم أُكمل عبارة "علي شهيد" حتى صرخ بصوت شعرت من خلاله بألم قلبه وأنا خلف الهاتف: "بويه علي".

"بويه علي" بقي صداها يتكرّر معي كلّ يوم؛ لأنَّها كانت نابعةً من قلبه الذي شعر بالفقدان وصرخ بلا شعور.

الشهيد علي الأنصاري لحظة التشهد بالشهادة

كلّ القوة التي كنت أتمتّع بها في الساعات الأولى كنت أستمدّها من عمّي أبي علي، إلاّ أنَّ تلك القوة تهدَّمت وانهارت عندما رأيتُه يحتضن جثمان علي في المغتسل وكأنَّه لازال طفلاً ويريد أن يعيده إلى أحضانه، ذلك المنظر أحسّني

بالفقدان حقّاً، فأنا لم أكن صهراً لعليّ وحسب، بل كنت بمثابة أبيه.

وإذا أردت أن أحسبها لكم بالأيام والساعات سأجد أنَّ عليّاً عاش معي أكثر من أن يعيش مع والده؛ لذلك عندما افتقدتُه شعرت فقدان ولدي.

أمُّ علي:

رنَّ هاتف ابنتي التي كانت ترافقني إلى مطار طهران من أجل توديعي، وكان المتّصل والدها، فتحت الهاتف وطلبت منها فتح مكبّر الصوت، عندها سمعت أبا علي وهو يقول لها: بابا ... لقد نال علي وسام الشهادة، فلا تبكي ولا تحزني وتصرفي بشكلٍ طبيعي حتى لا تشعر أُمُّك بذلك.

هنا لم أعد أفهم ماذا حصل لي، لكنّي تذكّرت موقفَ السيّدة زينب عليها السلام عندما استشهد أخوها أبو عبد الله الحسين عليه السلام وأبو الفضل العبّاس عليه السلام أمام ناظريها.

تذكّرتُ الرباب عندما احتضنت ولدَها المذبوح من الوريد إلى الوريد.

نعم، لم تجفّ عيني من الدموع لكنّي بقيت كما أنا، مسيطرة على مشاعري، اسبّح بمسبحتي التي لم تفارق يدي طيلة انتظاري في مطار طهران.

أخرجت هاتفي واتصلت بالسيّد البكّاء وأقسمت عليه أن لا يدفن عليّاً قبل وصولي إلى النجف حتى وإن تأخّر موعد وصولي؛ لأنَّ موعد اقلاع الطائرة من طهران كان بعد منتصف الليل.

أبو علي:

حينما وصلت إلى النجف الأشرف، واتّصل بي السيّد البكّاء، والله شعرت قبل أن أُجيب على اتصاله أنَّ هناك شيئاً ما قد حصل لعلي؛ لأنَّي في تلك الليلة الماضية لم أستطع النوم، فلم أذق فيها طعم النوم، وكأنَّ قلبي يخبرني بفراق خليلي غداً.

حتى عندما احتضنني قبل ذهابه إلى مشهد وودّعني أحسست بشيء؛ لأنَّها المرَّة الأولى والأخيرة التي يشدّني فيها على صدره وكأنّي ولده ولست والده.

أمُّ علي:

مرَّت عليَّ ساعات انتظار الاقلاع الثلاث وكأنَّها ثلاثون سنةً كَعُمر ولدي علي الذي كنت أستعرض مواقفَه مع نفسي منذ

ولادته وحتى آخر اتصال جرى بيننا، لم يبقَ شيءٌ لم استعرضه، تذكّرت شقاوتَه صغيراً وحنانَه كبيراً، طيبة قلبه والابتسامة التي لا تفارق وجهَه حتى وإن كان غاضباً، لم أكن أُريد البكاء، لكن دموعي كانت تخرج دون إرادة منّي إلى حدّ لم أستطع معه رؤية وجوه مَن كانوا برفقتي.

مرَّ الوقت ونزلت الطائرة في مطار النجف الأشرف، وفي المطار شعرت بفقدان علي حقّاً، فعندما هممت للخروج من باب الطائرة لم أرَ عليّاً ينتظرني كما في كلِّ مرَّة، وعندها شعرت برحيله فعلا.

وقفت وأنا لا أعلم من أين أستلم حقيبتي ولا كيف أختم جوازي، شعرتُ أنَّ الحياة ستكون متعبة بعد رحيل ولدي، فعندما كنت أُسافر سابقاً لم أعلم كيف أسلّم الحقائب؟ ولا كيف أختم الجواز؟ علي كان يُنهي كلَّ شيء حتى يوصلني إلى صالة صعود المسافرين، لكنّني الآن وللمرَّة الأولى أنزل من الطائرة دون أن أجد عليّاً ينتظرني.

وصلت إلى البيت وقرأت تلك اللافتة السوداء التي هدمت أحلامي، كان قد كُتب عليها رحيل الشاب علي الأنصاري شهيداً.

ضممت بناتي إلى صدري وأنا ما زلت صامتة لم أنطق بشيء، ماذا أقول لهنَّ؟ هل أقوم بتقديم العزاء لهنَّ على فقدان أخيهنَّ الوحيد، أو أنتظر عزائهنَّ لي بولدي الوحيد.

حاولت استيعاب رحيله عنّي، لكن لم يطل هذا الاستيعاب كثيراً حتى أعود لأتأمّل وأقول: ربما يعود ولو بعد حين؟!!

أمُّ زينب:

أتذكّر جيداً قصة ذلك الخاتم الذي حصل عليه تكريماً لأحد الأعمال في مشهد، خاتمٌ يحمل حجراً من ضريح الإمام الرضا عليه السلام، كان نادراً ما يهتم أو تُثيره هدية يحصل عليها، وفي الغالب يهدي ما يحصل عليه، إلّا هذا الخاتم كان فرحاً باقتنائه لدرجة الخوف عليه، فلا يريد ارتداءه خوفاً من أن يحرج بطلب مَن يطلبه، أو أن يفقده.

في أحد الأيام وقبل ذهابه إلى العمليات العسكرية وضع زوجي ذلك الخاتم في يدي وأوصاني أن أُحافظ عليه، وأن أكون حريصة عليه، أثار طلبه ذاك استغرابي، فلماذا كلّ هذا التعلّق بهذا الخاتم؟

وعندما أراد أن يخرج، التفت إليَّ وأوصاني: يا أمَّ زينب، عندما أنال الشهادة أريد أن يُوضع هذا الخاتم معي في لحدي، وإياكِ انْ تنسَيْ هذه الوصيّة مهما حدث، وبالرغم من صدمة خبر استشهاد علي ورحيله عنّا، وضجيج الصراخ والبكاء إلاّ أنني تذكّرت ذلك الخاتم وتلك الوصيّة، فركضت

نحو خزانتي وأنا اتعثّر بثيابي، أخرجت ذلك الخاتم الذي لا يزال محتفظاً بعطره، وناديت عمّي أبا علي وأعطيتُه الخاتم، وأخبرته بوصيّة علي، أخذ عمّي الخاتم وهو يبكي، وضعه بيده، رافعاً رأسه نحو السماء، وعندها شعرت بما يدور في خاطره، سمع قلبي أنين قلبه.

أمُّ علي:

قمت لأصلّي صلاة الليل، حتى حان موعد صلاة الفجر، فصلّيت الفجر وبقيت جالسة على سجادتي حتى أشرقت الشمس وفتح باب البيت، وأُدخل علي إلى الدار محمولاً في نعش الشهادة.

اثناء تشييع الشهيد علي الأنصاري في حرم امير المؤمنين ﷺ

لقد اختفت ابتسامتُه التي اعتدت على رؤيتها كلَّ يوم، اختفت خلف ذلك الكيس الأسود الذي رحلت معه كلُّ أحلامي.

انكسر قلبي عندما رأيت نعش ولدي محمولاً بيد رفاقه الذين وضعوه في المكان الذي كان يستقبلهم فيه مبتسماً، انحنيت عليه ورفعت غطاء التابوت الذي بدّد حلمي.

وقبل أن أفتح الكيس الأسود لأرى وجه ولدي الحبيب، أقسم عليَّ السيّد البكّاء وهو ينحني معي أن لا أفتح الكيس، وطلب منّي توديع الشهيد وهو بالكيس، كان يخشى عليَّ، وسبب تلك الخشية هو أنَّه لم يمض على خروجي من صالة العمليات حتى ٤٨ ساعة.

انحنيت على النعش ولم أفتح الكيس بعد أن أقسم عليَّ، فأخذت عليّاً في أحضاني وشعرت بثقل جسمه وأنا أضعه على صدري هو ابني الذي كنت احتضنه سابقاً، عندما وضعته على صدري وشممت جثمانه، كان معطّراً بعطر لم أشم له مثيلاً إلى الآن، عطر ما زلت أشعر به يلاصق روحي منذ رحيله وحتى الآن.

الصورة الأولى للشهيد علي الأنصاري وهو في روضة الشهداء

أمُّ زينب:

فعلاً صدق وعده فأخبرنا جميعاً عن "سرّ ذلك الطلب" في المقطع المصوّر المشهور الذي وثّق آخر لحظات من حياة علي بأنّهُ طلب الشهادة من الإمام الرضا عليه السلام في تلك الزيارة الأخيرة، وقد حقّق الإمام عليه السلام طلبه ذاك.

هنا علمت بقصة تلك الصورة التي أرسلها لي عندما كان في مشهد، وكلّما نظرت إليها الآن أتذكّر ذلك الموقف ويعتصر قلبي ألماً.

كان علي يعيش مع الشهادة كلّ يوم ويبحث عنها كبحث أُمٍّ فقدت طفلها في سوق، فعندما كنّا نتكلّم عن شيء يقول "بعد استشهادي" أو عندما يُقدم على شيء يقول "قبل أن أنال الشهادة".

أمُّ علي:

حملوا عليّاً من بين يدي ورحلوا عنّا، وأنا ما زلت أُحدّث نفسي هل فعلاً انتهى كلّ شيء؟ وهل أصبح علي شهيداً يوضع عنوانه ذاك على صورته الشخصية فقط.

أعلم أنَّه أخبرني مراراً وتكراراً أنَّه سينال الشهادة، وأنَّه يريد أن يكون شهيداً، لكنّي كنت أظنُّ أنَّ كلامَه كان مزاحاً، فهو كثير المزاح معي.

كلُّ شيءٍ كان يخطر في ذهني، إلاّ أن يرحل عنّي شهيداً، فهذا لم أكن لأُفكّر فيه أبداً، فهو لا يزال صغيراً لم يُكمل عامه الثلاثين، لكنّه رحل منّي.

علي ما زال يحتاج إلى أحضاني فكيف للتراب أن يحتضنه؟

نسير إلى رحمة الله

أحد أصدقاء الشهيد:

فجر يوم ٢٠١٥ /١/٢٣م كلّ شيء في هذا اليوم كان مختلفاً تماماً عمّا عرفناه بعلي الأنصاري؛ لأنّنا عندما يقولون لنا إنَّ عليّاً سيكون معكم في هذا الواجب فهذا يعني أنَّ الابتسامة والمزاح لا يفارقنا طيلةَ أيام المعركة.

عندما يكون علي معنا يعني أنه سيفتح لنا أرشيف المعارك السابقة، ويسرد لنا المواقف التي مرّت علينا وعلى بعض

الأصدقاء، وهنا يبدأ المزاح، مرات وكرات ندرك ساعة الصفر ونحن لم ننم بعد.

لكن هذا المرَّة وهذا الواجب رأينا أنَّ عليّاً مختلف عمّا عهدناه، فهو طوال الطريق من بغداد إلى ديالى كان صامتاً لا يتكلّم، وعندما يُسأل يُجيب باختصارٍ، وكأنَّه مشغول في شيءٍ سلب تفكيرَه.

قلت في نفسي قد يكون متعباً من طول الطريق؛ فطريقه أطول منّا بكثير، وربما حين نصل إلى مقرّنا سيعود علي كما عهدناه سابقاً، لكنّنا وبالرغم من وصولنا إلى مقرّنا لم يتغيّر شيءٌ في وجهه عن الذي رأيناه طيلةَ الطريق، وبل زاد صمتاً وهدوءاً.
كلّما أردتُ أن اسأله لماذا أنت صامت هكذا؟ أتردّد وأقول: ربّما لديه موقف خاص، أو أمر ما لا يحبّ الحديث عنه، ولا أُريد أُن أُحرجه بسؤالي.

بينما هو صامت انشغلنا نحن بترتيب وتجهيز أنفسنا لساعة الصفر التي لا تفصلنا عنها سوى ساعات قلائل.

بزغ الفجر وشرعت قواتنا بالتقدّم نحو الهدف، وكالعادة في كلّ العمليات عندما نبدأ بالتصوير نصوّر أقرب شخص لنا ونسأله عن وجهتنا؛ كي يذكر لنا اسم المنطقة التي نريد الوصول إليها أو تحريرها؛ ليبقى الأمر واضحاً لدى الأخوة في الأرشيف عند أرشفة الفيديوهات الخاصة بالمعارك.

رفعت كامرتي بيدي، فصار علي أمامي، لذا سألته: علي! اين نتّجه نحن الآن؟

أجاب وهو يسير أمامي ولم يلتفت نحوي أصلا: نسير إلى رحمة الله.

حينها لم أفهم ماذا يعني بتلك الجملة، لماذا يقول "نسير إلى رحمة الله" وأنا أُريد منه أن يذكر لنا اسم المنطقة التي نسير نحوها الآن؟ هل يُعقل أنَّه نسي هذا الأمر؟!

شرعنا بعملنا، وكلٌ منّا يوثّق بكامرته الدقيقة الأولى لشروع المعركة، شرعنا بالتقدّم ليصبّ الرصاص علينا جامّ غضبه، من الدقيقة الأولى للمعركة، كانت الأمور تشير إلى أنَّ تلك المعركة معركة شرسة جداً، لكنّ عزيمة الشباب وشجاعتهم أقوى من الرصاص المتناثر علينا كالمطر.

انقسمت القوات إلى أكثر من محور، فكان محورنا أنا وعلي مع إحدى مجموعات الاقتحام، اتّجهنا نحو الهدف، ووقفنا أمام الجسر الصغير من حيث الارتفاع والطول، لكنّه كان يمثّل لنا الصراط المستقيم؛ لشدّة الرصاص الذي يصوّب نحوه؛ لأنَّه كان بمثابة الشريان الأبهر للمعركة وللعدو؛ لأنّنا إن وصلنا إلى الصوب الثاني في مطلع النهار يعني ذلك أنَّ المعركة ستُحسم سريعاً لصالحنا.

تسلّق الشباب نحو الصوب الثاني من على جوانب الجسر الذي قسمت ظهره عبوة ناسفة كي تعيق تقدّمنا، بينما شباب آخرون يغطّونهم بكثافة نارية.

عبرنا الجسر بعد عبور المجموعة الأولى التي انشغلت بعد عبورها مباشرة بالاشتباك العنيف مع العدو، وصلنا واتخذنا من الساتر الترابي ساتراً لنا، كانت عيني متسمّرة على المجموعة الأُخرى التي مازال علي يوثّق بكامرته تقدّمهم نحونا.

ركّز العدو نيرانه مرّةً أُخرى على الجسر؛ لمنع تدفّق القوات، حتى أصبح الجسر هدف بنادقهم التي تطلق الرصاص بعشوائية.

عبر مَن أستطاع العبور، وتراجع مَن لم يستطع بعد، وبقي علي في منتصف الجسر فهو لا يريد الرجوع، بل أكمل طريقه نحونا، صار الرصاص يأتيه من كلّ حدبٍ وصوب، كنت أنظر نحوه تارةً وأُتابع مسيره، وأُخرى على الكامرة وهي توثّق الاشتباك مع العدو الذي لا يفصلنا عنه سوى أمتار قليلة.

بينما كنت منشغلاً بتوثيق تلك الاشتباكات سمعتُ صوتَ أحدِ المجاهدين وهو يصيح "علي اتصوّب".

لم أستطع أن اره بوضوح، ولم يستطع سماع صوتنا، ولم نعلم بعد محل اصابته، ولا مدى خطورة تلك الاصابة.

هنا اشتدَّ أزيز الرصاص، وصار العدو يركّز علينا بإطلاق النار؛ حتى لا نتمكّن من اسعافه، شيئاً فشيء أصبحت المرحلة خطرة، فربما إذا حاولنا اسعاف علي سيكون هناك الكثير من الشهداء.

بدأنا نُصرّ على مضايقة العدوّ بكثافة النيران مع تسلّل مجموعة من المجاهدين لنقل علي الينا، فتمكّنا من نقله بعد عدّة محاولات مع صعوبة حمله اذ كان ثقيلاً ولا يوجد شيء يساعد على حمله، كالنقّالة ما شابه.

وصل علي بالقرب منّا وهو ينزف من قدمه اليمنى، وقد اخترقت الطلقة قدمه اليسرى، لكنّنا كنّا نشعر بالأمن وعدم خطورة الموقف؛ لأنَّ الاصابة لا تزال في قدميه.

انشغل بعض المجاهدين بتضميد الجرح بالوسائل المتاحة لنا؛ حتى نتمكّن من السيطرة على النزف، فالدم يتدفّق بكثافة من جرحه، إلاّ أنّ كلَّ المحاولات بائت بالفشل؛ فعلي مازال ينزف. هنا شعرنا بالخطر عندما رأينا وجه علي قد تغيّر لونُه.

كلما تقدّمت عقارب الساعة صرنا ندرك مدى خطورة الأمر، كنّا نتحدّث حول فتح الطريق ومحاولة اسعافه بأسرع وقت، بينما يوصينا بزينب:

زينب علي الأنصاري وهي في الثامنة من عمرها

"زينب .. ديروا بالكم على زينب" لم يغب اسمها عن لسانه لحظة واحدة، ونحن نرد عليه: ما كو شيء علي هسه ينفتح الطريق وتوصل الهمر وننقلك للمستشفى.

ابتسم ابتسامةً ملؤها ألمٌ لم يشتكِ منه وهو مصاب.

فجأة قال: هذا عمّي .. اجاني عمّي.

لم نكن نعرف عمّه، ولا سبب قول علي: هذا عمي!

تمكّن النزف من علي، وصار يغمض عينيه ونحن نحاول فتحهنَّ بشتّى الوسائل والطرق؛ كي لا نشعر بمرحلة الخطورة، لكنّنا لم نسيطر على مشاعرنا وبدأت دموعنا تنهمر عندما قال: بعد ما أشوف شيء، حتى أنتم ما أشوفكم.

علا صوتنا فصرنا نناديه: علي ... علي، كي يبقى واعياً.

كانت لحظات حاسمة وصراع بين الموت والإنقاذ، كان يجب علينا أن نتصارع مع الموت حتى نتمكّن من اسعافه، وبينما نصيح ونصرخ "علي ... علي".

رفع عليٌ يده اليسرى نحو السماء وهو يردد الشهادة:

"أشهد انْ لا اله إلاّ الله.

وأشهد أنَّ محمّداً رسول الله

وأشهد أنَّ عليّاً وليّ الله".

لم يكتفِ بشهادة "عليّ ولي الله" لمرَّةٍ واحدةٍ، فصار يمدّ يده نحو السماء أكثر وهو يكرّر "أشهد أنَّ عليّاً وليّ الله" ثلاث مرّات، وبعدها أغمض عينيه...

حُرّرت الأرض وعادت المقدادية إلى أهلها من الأسر بفضل تلك الدماء الزاكية، وعدنا بعلي إلى أهله مخضباً بالدماء شهيداً نطق الشهادة قبل الشهادة.

هي الصورة ذاتها التي اعطاها الى والدته

صورة علي

أمُّ علي:

لا أعلم لماذا أعطاني تلك الصورة العسكرية قبل سفرنا إلى إيران، كانت المرَّة الأولى التي يعطيني فيها صورة، أخذتها ووضعتها بين ثيابي ولم اسأله لماذا؟ فكلّ ما أتذكّره، هو أنَّه

قال احتفظي أُمّاه بهذا الصورة ـ وهو يضعها في يدي ـ ومع ارتفاع ضجيج صراخ النساء في البيت وعقلي متشتّت بين قبول ورفض فكرة رحيله، تذكّرت تلك الصورة التي أعطانها قبل أن نفترق للمرَّة الأخيرة.

ذهبت إلى خزانتي وأخرجت تلك الصورة ووضعتها أمامي على المرآة، وصرت أنظر إليها، لم تبدُ لي أنَّها صورة جامدة أبداً، فكلّما أنظر إليها أراها كهيئة علي أمامي، تعلّقت بتلك الصورة كثيراً، حتى أنّي بين ساعة وأخرى أقوم تاركة مجلس العزاء كي أقف أمام صورة ولدي، فرغم امتلاكي للكثير من الصور إلاّ أنّ لدي احساس غريب وخاصّ تجاه هذه الصورة، ربما لأنَّه وضعها بيدي وأوصاني بالحفاظ عليها!

عدت مرَّة أُخرى لأرى الصور، لكنّني لم أجدها في مكانها الذي وضعتها فيه، ذهبت إلى البنات وسألتهنَّ الواحدة تلو الأُخرى عن الصورة، إلاّ أنهنَّ كنَّ يجهلن مصيرها، جنّ جنوني حينها ولا أعلم ماذا حدث لي؟ بدا الأمر لي وكأنَّني فقدّت عليّاً مرَّة أُخرى؟!

جلبوا لي صورة غيرها لكنّي رفضتُها، فأنا أُريد تلك الصورة بالذات، التي وضعها علي بيدي وقال "حافظي عليها"، كيف لم أُحافظ عليها بعد رحيله بساعات؟

بينما البنات يبكين على الحالة التي أنا فيها، وبين حيرتهنَّ بالمكان الذي يجدْنَ فيه الصورة، غابت الشمس لِتُشرقَ معلنةً عن يوم آخر، دون أن يحصلْنَ على الصورة، ولم يعلمن أين ذهبت؟

الأمر الغريب أنّ الصورة في غرفتي الشخصية على المرآة، ولا يدخل أحد إليها إلاّ من هم خواصي فقط.

مضى يومٌ آخر والبحث لا يزال مستمراً عن الصورة، في الصباح جاءتني أمُّ زينب قائلة: عمّه هل هذه هي الصورة التي تبحثين عنها؟

لا أعلم كيف أصف لكم شعوري عندما رأيت تلك الصورة بيدها، لكنَّه شعور شخص حصل على شيءٍ ثمين كان يبحث عنه. أخذتُ الصورة ووضعتها على صدري وكأنَّه قد عاد علي إلى أحضاني من جديد وليس مجرّد صورة.

بادرت لسؤالها أين وجدتِ هذه الصورة؟

زينب علي الأنصاري وهي في الرابعة من عمرها

قالت: وجدتها تحت وسادة زينب اليوم عندما كنت أقوم بترتيب فراشها!! شعرت بعصرة في قلبي، وتمنيت أنّي لم أسالها عن محلّها.

زينب ... الطفلة التي صدمها رحيل والدها وهي لم تبلغ السنة السادسة من عمرها بعد، شعرتْ وفهمتْ فراق أبيها كي تقوم بوضع صورته تحت وسادتها لتشعر بقربه منها مرَّة أُخرى.

والد الشهيد علي الأنصاري وهو يحتضن علي بجانب صورة عمه الشهيد

علي وكريم وجهان لشهادة واحدة

أبو علي:

أُقسم لك صادقاً أنَّي كنت على يقين بشهادة علي منذ الاتصال الأوّل للسيّد البكّاء، لكن قلبي كأب لولدٍ واحدٍ جعلني أرفض الحقيقة، وأصدّق أنَّ عليّاً مصاب.

منذ أن وقف كريم أمامي بتلك الرؤيا قبل ثلاثين عاماً، وهو يحمل بيده علي، كنت على يقين تامّ أنَّ عليّاً ليس لي، إنّما هو أمانة وسيرحل عنّي يوماً ما.

ربما العمر الذي عشتُه مع أخي كريم هو ذات العمر الذي قضيتُه مع ولدي علي، فلم أرَ شيئاً واحداً في علي مختلفاً عمّا هو في كريم.

الشهيد علي الانصاري وهو في السادس عشر من عمره

كلّ ما رأيتُه عند كريم وعشتُه معه حتى الشهادة رأيتُه في علي، لقد كانت علاقتي بأخي كريم تختلف عن سائر

أخوتي؛ فهو الأخ الأصغر ونحن في خط الجهاد معاً بالرغم من فارق العمر الكبير فيما بيننا، لكنّي كنت أراه صديقي.

كانت الواجبات العسكرية كثيرة وكبيرة، وكلٌ منّا في مهمّةٍ مختلفةٍ؛ لذلك كنّا نقضي أشهراً لا نلتقي بها معاً في البيت، ولم تكن الاتصالات في ذلك الوقت متوفرة كي نتّفق على موعدٍ واحدٍ للنزول مثلا.

في إحدى المرّات صادف وجودنا معاً لكن موعد التحاقه كان قبلي بأيام، جاء موعد التحاقه وبدأ يعد حقيبتَه العسكرية حتى صارت الساعة تشير إلى موعد رحيله، قام ليودّعنا واحداً تلو الآخر وأنا خرجت معه حتى الباب، ودّعني وذهب ولم تمض دقائق حتى عاد إليَّ، سألتُه: هل نسيت شيئاً؟

قال: لا، لكن أردت أن أُعطيك هذا الخاتم.

فنزع الخاتم العقيق من يده وقام ووضعه في إصبعي، الخاتم الذي كان من أعزّ الخواتم لديَّ، إلاّ أنَّه لم يُفرحني ذلك بقدر خوفي عليه. سألتُه حينها: لماذا وضعت خاتمك بيدي؟

سكت وامتنع عن الجواب، أو لعلّه أجابني بكلامٍ لم أكن أفهم مقصده منه آنذاك، ثمَّ ودّعني مرَّةً أُخرى وذهب.

لم أرَ أخي بعد ذلك اليوم الذي أهداني فيه خاتمه، ولم أنسَ ذلك الموقف منذ ثلاثين عاماً، ومازال الخاتم بيدي إلى الآن.

كبر علي وتفتّحت وردة شبابه الجميل، وسار على ذات الطريق الذي سرتُ عليه أنا وعمُّه كريم، ألا وهو طريق الجهاد.

لكن عندما اختار علي هذا الطريق اعتصر قلبي ألماً؛ لأنّه ولدي الوحيد، لكنّي كنتُ فرحاً ومسروراً في داخلي، لأنّه سلك الطريقَ نفسَه، الطريق الذي لا يُعوّض بثمن مهما كان.

في أحد الأيام أعدّ علي حقيبتَه العسكريّة للمعركة القادمة وحمل سلاحه، وودّعنا جميعاً، كما يودّعنا في كلّ مرَّة، حتى مراسيم الوداع لم تكن تختلف عن المرّات السابقة، هناك مَن يبكي بصمتٍ، وهناك من يحضر آنية الماء ليرميَها خلفه، بينما يلتقط له شخصٌ آخر صورةً توثّق لحظات خروجه إلى الواجب، أمّا أنا فكنت أتقمّص دور القوة وعدم الانكسار عندما يخرج، إلاّ أنَّ الحقيقة كانت مختلفة تماماً؛ فقلبي يتألّم كثيراً على فراقه، لكنّي لا أستطيع البكاء مثلهم ليهدأ قلبي وتنطفئ شعلة النار في صدري، فأبقى ألتزم الصمت أمامهم بينما قلبي ينزف دماً.

وقف عند باب المنزل وهو ينتظر مجيء أصدقاءه الملتحقين معه، وبينما أقف معه منتظراً، يلتفت إليَّ والابتسامة تعلو مُحيّاه ثم ينزع خاتَمه العقيق من يده ويضعه في يدي، عندما نظر

إلى وجهي وبيده الخاتم لم أشعر ماذا حدث حينها، لكن الموقف أعادني إلى ما قبل ثلاثين عاماً.

نظرتُ إلى الخاتم في يدي وأنا على يقين أنَّ عليّاً شهيدٌ كعمّه كريم مهما طال الزمن والعمر، وعندما أخبروني بإصابة علي في ساقه تذكّرت ذلك اليوم من العام ١٩٨٦م الذي جاءني فيه أحد أقاربي، وقال لي حينها: لقد أُصيب كريم في ساقه، وهو في حالة جيدة، وعلينا أن نذهب لاستقباله من المستشفى.

كذلك حين أخبرني السيّد البكّاء أنَّ عليّاً مصاب وعلينا أن نذهب إلى بغداد لاستقباله، علمتُ علمَ اليقين أنَّ رؤية ولادة علي، وقصّة الخاتم العقيق، والإصابة، تعني أنَّ عليّاً قضى شهيداً.

لم يزحنني هذا الأمر أبداً، بل جعلني في موضع المفاخرة، لكن ما أنهكني هو شوقي لرؤية ولدي.

حجيّة هو وينه علي؟

أمُّ علي:

عشتُ كثيراً مع علي بعد شهادته، وكثيراً ما أنسى أنَّه قد رحل منّي، وبعد رحيل علي بفترة قليلة، ذهبتُ برفقة والده إلى سوق النجف الأشرف من أجل شراء بعض الملابس

لأحفادي، أثناء تجوالنا في السوق توقّفت أمام إحدى المحلاّت الخاصة ببيع الملابس الرجاليّة ودخلت فيه، طلبت من صاحب المحل أن يُعطيني إحدى القطع المعروضة، اخترت اللون واتّفقنا على السعر حتى أردت دفعَ ثمنها، سألني أبو علي: لمن هذه القطعة؟

أجبتُه: لعلي، إنَّها مناسبة له تماماً، كما وأنَّه يُحبُّ هذا اللون.

شهق أبو علي قائلاً: حجّية هو وينه علي؟! وبعدها علا صوت بكاءه. تذكّرتُ عندها أنَّ عليّاً رحل فسالت دموعي وصرت أبكي بشدّة. جعل هذا الموقف صاحبَ المحلّ في حيرةٍ من الأمر، فسألنا عمّا جرى لنا؟

فقلت له: أتينا كي نشتري ملابس لولدنا الوحيد، والآن تذكّرنا أنَّه قد أُستشهد.

جلس صاحب المحل على الأرض باكياً، وأنا أبكي معه، وكأنَّه اليوم قد رحل علي منّا.

نطق الشهادة

أبو علي:

الله تعالى يُحبُّنا كثيراً عندما اختار أن يكون ولدنا شهيداً.

لا أُريد أن أتحدَّث عن ألم الفراق ومدى الاشتياق؛ لأنَّه مجرّد أن تشعر بأنَّ الليل يمرّ عليك وأنت جالس في البيت

وحيداً من دون الأمل الخاص بك، لا تشعر بوجود أيّ شيء جميل في هذه الدنيا.

كان ولدي الوحيد أملي ليوم فاقتي وكبر سنّي، لكن محبّة الله شاءت أن نكرم به شهيداً.

في بعض الأوقات وأنا جالس وحيداً في الدار يراودني هذا التساؤل ماذا كان سيجري لي إن فقدت ولدي بغير طريق الشهادة.

أُقسم لكم صادقاً لو أنّي فارقتُ عليّاً بحادث سير أو مرض أو موت طبيعي، لجنّ جنوني عليه لكن عندما أتذكّر أنّ عليّاً رحل شهيداً، أشعر بالارتياح والاطمئنان كثيراً؛ لأنّ الشهادة مقام لا يناله إلاّ ذو حظّ عظيم، كما قال تعالى في كتابه الحكيم: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [1].

طوال حياتي أسير بين الناس وعندما أُسال أُعرّف عن نفسي بعائلتي وقبيلتي، لكن الآن لا أذكر شيئاً للناس عن نفسي وعائلتي، وعندما يسألني أحدٌ من أنت؟ اكتفي بقولي لهم: أنا

(١) سورة فصلت: ٣٥.

والد الشهيد علي الأنصاري، فيقوم لي الجميع أكراماً لولدي الشهيد، وليس لي.

بين يوم وآخر أذهب إلى زيارة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعندما أدخل من الباب وأرى قبَّتَه الشامخة أرفع يديَّ وأُسلّم عليه، وأُعرّف نفسي في كلّ مرَّة أنا والد الذي قال في رمقه الأخير "أشهد أنَّ عليَّاً وليُّ الله" ثلاث مرَّات، أنا والد علي الأنصاري.

أشكر الله الذي أكرمني بعلي، وشكراً لعلي الذي وسمني بهذا الوسام، وسام الشهادة.

موقف مع علي في معركة تحرير العظيم

وجّهتُ سؤالاً لأحد أصدقاء الشهيد، قلتُ له: أنتَ رافقتَ عليّاً في بعض العمليات العسكريّة، فهل وجدتَ في هذا الرجل شيئاً مختلفاً عن باقي كوادركم الإعلامية؟

لم يكن سؤالي مضحكاً كي يجيبني بالابتسامة دون أن ينطق بكلمةٍ واحدةٍ.

سألتُه: لماذا تبتسم؟! هل هناك شيء غريب في سؤالي؟

- لا شيء، فقط تذكّرتُ موقفاً عندما سألتني عن علي، وابتسمت كي أتدارك سقوط دموعي أمامك، كن على يقين أنَّ الذي جعلني أبتسم هو حزني على فراق صديقي، وحيرتي بالإجابة على سؤالك، فعندما طرحتَ سؤالك عن الأنصاري، وعن المواقف التي عشتُها معه، تواردت إلى ذهني عشرات المواقف، إن حدّثتُك بهنَّ فلربّما تصدّقني بسبب قربك من الشهيد، لكنّ ما أخشاه هو كلام الناس أن يقولوا: وصلتم بالأنصاري إلى حيث الغلو أو تريدون تحويله من شخصٍ عادي إلى اسطورة.

لكنّي أقول: إنَّ مَن يقدّم نفسه شهيداً تاركاً خلفَه عائلتَه ومحبّيه، فحقّاً هو اسطورة وليس إنساناً عادياً، كنتُ شاهداً على هذا الموقف الذي حدث أمامي في معارك تحرير العظيم بمحافظة ديالى، إذ أكملنا صلاة الفجر وجهّزنا أنفسَنا لهذه المعركة، لم تشرق الشمس بعد، لكن عيوننا كانت تراقب الساعة التي تشير عقاربُها لدنوّنا من ساعة الصفر، كلّ

المعلومات الأمنية هنا تشير إلى أنَّ المعركة هي معركة عسيرة جدّاً؛ وذلك لعدّة أسباب:

أوّلها: أنَّ الجوَّ ممطرٌ والمناخ صعب جدّاً.

ثانيا: صعوبة الأرض التي سنسير عليها؛ إذ هي أرض توفّر مخابئ طبيعية للعدوّ، حيث تنعدم رؤية العدوّ من مسافات بعيدة.

لكن عزيمة الشباب الذين سهروا الليالي بانتظار ملاقاة العدوّ وكأنَّهم على موعد لملاقاة أخلّتَهم، وليسوا على موعدٍ مع

الحرب والرصاص الطائش الذي لا يميّز بين صغيرٍ وكبيرٍ، ولا بين أعزبٍ ومتزوّج، كانت أقوى من كلّ شيءٍ.

كان بعضنا ينظر إلى البعض الآخر ويتساءل، هل سنرى هذه الوجوه مرَّةً أُخرى أو أنَّ الرصاص سيتكفّل بإبعادنا عن بعضنا البعض؟

حانت ساعة الصفر وكلُّ فردٍ منّا توجّه إلى محورٍ من المحاور، فافترقنا بالأجساد ولكن أرواحنا بقيت متماسكة بعضها ببعض على أملٍ أن نلتقي بعد النصر.

فُتحت السواتر وشرعت قواتُنا بالدخول إلى أرضنا التي يحتلّها العدوّ، وقبل أن نضعَ أيديَنا على الزناد وضعنا أناملَنا على الكاميرات، وباشرنا بتسجيل تلك الطلقة الأولى التي لا نعرف فربما تكون هي ذاتها الطلقة الأخيرة التي نسمعها.

اشتدَّ أزيز الرصاص، وابتعد المحور، وتقطّعت بنا سُبلُ الاتصالات، وأجهزة النداء صارت لا تؤمّن كلَّ المنطقة، وأصوات متقطّعة تأتينا عبر أجهزة اللاسلكي، ونميّزها بصعوبةٍ بالغةٍ، وكنّا نحاول الأنصات لها؛ كي نطمئنّ لحياة كادرنا.

طالت المعركة حتى المساء، وفي هذا المساء الجميل زففنا نبأ النصر العظيم، وانتصر الدم على الرصاص، ورفعنا علمَ العراق شامخاً على بقايا من دم الشهداء الذين رحلوا كي تتحرّر العباد والبلاد، عدنا إلى مقرّنا الذي نتّخذ منه مسكناً لنا في العمليات العسكرية، قمنا بوضع الكاميرات الواحدة خلف الأُخرى؛ لننتظر قسم الأرشيف من أجل أرشفة كلّ هذه المعركة بأسماء مصوّريها.

ونحن ننتظر تلك الكاميرات تنتهي عملية استخراج المواد منها الواحدة تلو الأُخرى حتى رأينا أنَّ إحدى الكاميرات لم توثّق من كلّ تلك المعركة التي استمرّت ليوم كامل سوى (١٢) دقيقة فقط، طبعًا الأمر الذي جعلنا جمعياً نتساءل أين المادة المصوّرة اذن؟!

هنا سمعنا صوتَ علي وهو يقول: مادّة فلان عندي، وهو صاحب الكاميرا الموجودة أمامنا، وبالفعل أعطانا علي كامرتين، كلّ واحدة منهما فيها مادّة مختلفة عن الأُخرى، وهذا يعني أنَّ كلَّ كامرة كانت في محورٍ مختلف.

أرسلنا المادّة إلى بغداد عبر أجهزة البثّ؛ ليقوموا هناك بإعدادها وبثّها؛ ليشاهدها الناس؛ حتى يعمَّ هذا النصر على الجميع.

طال حديثي مع صديقي الذي لم يذكر لي أيَّ موقفٍ لعلي في كلّ هذا الحديث وهو يتكلّم لي عن كامرة لم يجدوا فيها مادّة، وبعدها ظهرت المادّة مع علي، لكنّه ما الغريب في الموضوع؟!

- عندما سلّمت المادّة، وذهب كلٌّ مصوّرٍ إلى بيته وبقيت أنا أُقسّم الجولات والعمل، هنا فوجئت بأنَّ مادّة فلان التي سُجّلت باسمه، يعلو فيها صوت علي والكامرة له كذلك، والمادّة التي فيها تُشير إلى علي، حتى بعض اللقطات تتشابه بين الكامرتين.

طبعاً علي جالس أمامي وأنا اتفحّص المادّة بكلِّ تركيزٍ ودقّةٍ؛ كي أستطيع تمييز المواد، كان علي صامتاً والابتسامة ظاهرة على وجهه كالعادة، فألتفتُّ إليه وسألتُه لماذا مادّتُك متشابهة مع فلان، أعتقد أنَّ مادّة الكامرتين لك أنت إلاّ أنّني لا أعلم

لماذا نُسبت إحداهما لفلان؟! ولماذا فلان لم يصوّر شيئاً أصلاً مع أنَّه كان حاضراً في محور آخر؟

ردَّ علي قائلاً: عندما قسّمنا المحاور وكلٌّ منّا توجّه إلى المحور الذي سيكون معه أثناء المعركة رأيتُ فلاناً متردّداً في الدخول إلى المعركة، فجئتُه وسألته: لماذا أنت متحيّراً وصامتاً ولم تستعد بعد، هل هناك شيء؟

أخبرني حينها قائلاً: يا علي! أنا لستُ خائفاً من الدخول إلى المعركة ولا من الموت، لكنّي في الحقيقة خائف على ابنتي التي ستبقى بعدي بلا مُعيل فلا يوجد لها غيري، هذا الذي جعلني أتحيّر من الدخول، وليس الخوف من الموت، وأنا الآن أقف أمامك وابنتي نصب عيني، ولا أريد أن أعود بلا مادّة حتى لا أتعرّض للاستهزاء من البعض. حينها قلتُ له: خلاص ابقَ أنت هنا وصوّر ما تستطيع أن تصوّره وأنا سأدخل المحور بأكثر من كامرة ومساءاً إن عدنا أحياء سأُقسم تلك المادّة بيني وبينك، وسجّلها أنت باسمك، وإن لم أعد حيّاً، فخذها وسجّلها باسمك أيضاً.

طبعًا هنا لم يبقَ لي شيءٌ حتى أتحدّث به مع علي سوى سؤالٍ واحدٍ فقط، علي لماذا لا تخاف أنت على ابنتك وهي أيضاً وحيدة ولا يوجد لها سواك، وحتى أهلك لا يوجد لهم سواك، فأنت ابنهم الوحيد؟

الشهيد على الانصاري اثناء التقدم فى معارك العظيم

فأجابني: هل تظن أنّني لم أخف على ابنتي أو تتصوّر أنَّها لم تكن نصب عينيّ في كلّ معركة؟! أبداً، لكن يا صديقي الواجب الذي أنا فيه أكبر وأسمى من ابنتي نفسها؛ لذلك كلّما راودني هذا الشعور أتذكّر أنّني في واجبٍ مقدّسٍ فيطمئن قلبي...

يتكلّمون عنّي بالسوء

أحد أصدقاء الشهيد:

علي مختلف تماماً عنّا في العمل، فبالرغم من أننا نعمل سويّةً وفي مؤسسةٍ واحدةٍ لكنَّك عندما تشاهد علي وهو يؤدّي واجبه حقّاً ستعلم أنَّه مختلف عنّا جميعاً؛ فعندما يعود من الواجب الحربي وهو متعب، وقد غطّى التراب ملامحَ وجهه، فإنَّه لا يذهب إلى البيت قبل إيصال المادّة لنا وبيده مباشرةً.

يرفض العمل كباقي الزملاء الذين (يفيّدون) المادة عبر الاس ان جي، أو يبعثونها بيد شخصٍ اخر.

عندما كان يعلم أنَّه سيصل في وقتٍ متأخّرٍ من الليل كان يتّصل بي ويخيّرني بين الذهاب إلى البيت والرجوع لاحقاً، أو البقاء والانتظار إلى حين وصوله.

كنت أبقى أنتظر عليّاً حتى يأتي بالمادّة، ويبقى واقفاً فوق رأسي وأنا أُقسّمها؛ لكي يختار بنفسه ما يكون صالحاً للنشر وما يتحوّل إلى الأرشيف.

بعض الأحيان أراه متعباً جدّاً، فأضحك عندما أراه بهذا المنظر، وأردّ عليه بقولي: مَن أجبرك أن تبقى فوق رأسي، اذهب إلى بيتكم وأنا سأُكمل العمل، لكنّه كان يرفض.

وفي أحد الأيام كنّا أنا وعلي بمفردنا في قسم الانتاج جالسين نقسّم إحدى الموادّ الحربية، وسمعنا صوت أحد الزملاء عالياً خارج القسم وهو غاضب من شيء في العمل.

خرج علي على إثر ذلك، فرأه يرفع صوتَه عالياً وبعصبية، وعلي يرد عليه بكلّ برود: لماذا ترفع صوتك؟ ما بك؟

قال: هذا العمل لم يكتمل، مع العلم أنّي أنجزتُه بالكامل.

اطّلع عليٌّ على الورقة التي كانت في يده وأخذها وذهب إلى مكتب المدير وشرح له، فوقّعها على الفور.

خرج زميلانا مبتسماً بينما دخل علي إلى القسم حزينا.

سألتُه: ما بك؟ هل رفض المدير تدخلك بهذا الشأن؟

قال: لا، الرجل لم يطّلع على الورقة، وقد رُفضت قبل إيصالها إليه، وعندما اطّلع عليها وافق فوراً.

- اذن ما بك؟

- لا شيء، واصل عملَك.

لم أُركّز بعملي بعد ذلك؛ لكثرة التساؤلات التي تدور في ذهني، فلماذا يتصرّف أمامي عكس ما أسمعه عنه من بعض الزملاء؟

بقيت صامتاً ولم أُركّز في عملي، وأُريد أن أقول له ما أسمعه عنه، لكنّي أخشى أن أقع بالإحراج معه؟!

حاولت ترك كلَّ تلك التساؤلات والتركيز بعملي من جديد، لكنّي لم أستطع حتى بادرته بالسؤال: لماذا أنت حزين ولستَ كما عهدتُك؟ ولماذا في هذا الموقف؟

ابتسم ومازال الحزن مخيّماً على وجه: أنا حزين لما أسمعه من بعض الأصدقاء الذي يجلسون معي ويأكلون معي ونسهر سويةً وعندما نفترق يتكلّمون عنّي بالسوء من دون وجه حقّ، فأنا لم أؤذي أحداً منهم، والله يشهد على ما أقول.

أنا هنا أحسست بصفعةٍ على وجهي، كيف أردُّ عليه الآن وأنا مَن يريد أن يسأله السؤال نفسه؟

تظاهرتُ بمظهر مَن لا يعلم شيئاً، وواصلت عملي وسألته: لماذا يتحدّثون عنك بالسوء؟

قال: يظنّون أنَّ قربي من المدير وعلاقتي به فيها ضررٌ عليهم. أُقسم لك والله بأنَّي لم أدخل غرفة المدير إلاّ لقضاء حوائجهم فقط، ولم اؤذي أحداً منهم حتى وإن كان على خطأ؛ لأنَّه ليس من حقّي التدخّل في أعمالهم أو شؤونهم، حتى أنَّي أسمع بعضَهم وهم يتكلّمون عنّي، وأسمع ما يقولون، وهم يظنّون أنَّي لست موجوداً.

كنّا في بعض الأيام في إحدى الواجبات نجلس في خيمةٍ واحدةٍ، وعندما اقتربتُ من الخيمة سمعتُ أحدَهم يقول: غيّر الموضوع؛ فقد جاء علي.

بيني وبين الله لا أُعير لحديثهم أيَّ اهتمامٍ بقدر أن أكون صادقاً مع الله في عملي.

هنا علمتُ وتيقّنتُ بمظلومية هذا الرجل من قِبَل بعض الزملاء الذين بكوا على علي عندما فارقوه أكثر منّا؛ لشعورهم بالندم. حتى أنَّ بعضَهم لم يتحمّل وجاء وصرّح لنا قائلاً: أنا كنتُ أظنُّ السوء بعلي، إلاَّ أنَّ الشهيد علي كان أفضل منّا جميعاً، وهذه هي الحقيقة.

السيّد البكّاء:

أسمع بعضَ الكلام من الذي كانوا يتَّهمون عليّاً، لكنّي أنا الذي يعرف الحقيقة، فعلي ظُلم من قِبَل بعض زملائه الذين كانوا يجهلون الحقيقة، وكلٌّ ظنّهم أنَّ قرب علي منّي يسبّب لهم بعض الأذى، لكن الحقيقة هي أنَّ عليّاً لم يدخل مكتبي بطلب شخصي أبداً، دائماً ما يأتي لحلّ مشكلةِ أحد الزملاء،

فعندما يصدر خطأٌ من أحدهم وأريد أن اوجّه له عقوبةً أو اتّخذ بحقّه اجراء ما، فسرعان ما أرى عليّاً أمامي وهو يتوسّط لهم، حتى أقع بالإحراج، وعندما كنت أرفض وأقول له: أنت لا تعلم ماذا حصل؟ يقول: أنا أتعهّد امامك أنَّ كلَّ شيءٍ سيتغيّر. هكذا كان علي.

الشهيد علي الأنصاري في احد الواجبات الإعلامية

عمل معي منذ العام ٢٠٠٤ م حتى يوم رحيله في العام ٢٠١٥ م لم يظلم أحداً أمامي ولم يشتكِ من أحدٌ، ولم يخبرني بشيءٍ خاص بينه وبين زملائه من داخل العمل.

حتى في بعض المواقف التي تحصل وأعلم بها بعد فترة عن طريق الآخرين أتفاجئ أنَّ عليّاً كان موجوداً معهم.

هل أكملت صلاتك؟

أحد أصدقاء الشهيد:

أحيانا نضطر للبقاء في القناة حتى ساعات متأخّرة من الليل؛ لإنجاز عمل مطلوب على وجه السرعة.

ذات يوم كنتُ مكلَّفاً بعمل مهمٍّ جداً وكان العمل يتطلَّب منّي تركيزاً عالياً وكنت مرتبكاً جداً ومتعباً بشدّة بسبب عملي هذا. أدركتني الصلاة حتى مضى على وقتها الكثير، وأنا لم أؤدِّ صلاتي بعد.

أكملت جزءاً من عملي، ثم قمت لأتوضّأ حتى أُدرك وقتَ الصلاة؛ لأنَّي قد أنام ليلتي في القناة بسبب العمل المُلقى على عاتقي.

فرشت سجادتي في القسم وصلّيت صلاة المغرب، ثم جلست أُسبّح تسبيحةَ السيّدة الزهراء ﷺ، وبينما أنا أُسبّح وإذا بعلي الأنصاري قد دخل عليَّ، سلّم عليَّ إلاّ أنَّه لم يكن كما هو، فبدل ذلك الوجه البشوش كان غضباً هذه المرَّة!

أكملت تسبيحي وسألتُه: ما بك؟ هل حدث شيء؟ هل هناك خطأ؟

قال: لا، هل أكملتَ صلاتك؟

قلت له: لماذا؟ لقد أكملتُ المغرب وبقيتْ صلاة العشاء.

قال: أكملها الآن، فلديّ عمل مهم معك.

- طيّب أخبرني ما بك؟ لأنَّي أشعر بالقلق كثيراً؟ لماذا أنت غاضب اليوم هكذا؟!

- أتمم صلاتك لأقولَ لك ما بي ولماذا أنا مكتئب؟!

قمت للصلاة وأنا أحمل ألف سؤال وسؤال، ماذا يريد الأنصاري منّي الآن؟

أكملت صلاتي التي لا أدري ما قرأت فيها للموقف الذي جعلني فيه تصرّف علي معي، وما إن وصلت إلى التشهّد الأخير وسلّمت، حتى توجّهت إليه وسالتُه: ما بك؟

قال: "ما بيّ شيء والله، بس ردتك تخلص صلاتك علمود أكلك تره أنت فارش مصلايتك غلط أنت مصلّي عكس القبلة ١٨٠ درجة".

أذهلني كلامُه هذا وعجزت عن الردّ عليه، وبينما كنتُ فرحاً لأنَّه لم يكن هناك ما يدعو للقلق. نعم، كنتُ متثاقلاً ومنزعجاً؛ لأنَّي سأُعيد صلاتي كلَّها.

هذه السنة الرابعة لرحيل عليّ الأنصاري وأنا كلّما فرشتُ سجّادتي تذكّرت ذلك الموقفَ، وبينما أبتسم تدمع عيني، فخليط المشاعر الذي شعرت به أثناء حدوث ذلك الأمر هو ذاته الذي يمرُّ عليَّ في كلّ مرَّة.

الشهيد علي الأنصاري مع والده في دارهم في النجف الاشرف

قد أعلن علي الإفلاس

أبو علي:

لم يكن علي ولدي فحسب، بل كان صديقي المقرَّب، عشنا أصدقاء أكثر من أن نعيش أب وابن، كان يميل جدّاً للألعاب الرياضية القتالية مثل الكاراتيه وغيرها، وعندما يتعلّم حركات

جديدة كان يطلبني في البيت للمنازلة معه. فيسحبني إلى غرفة الاستقبال في كلّ مرَّة ويطلب منّي المنازلة، عندها كنت أقول له: "عليوي إذا ضربتني أيَّ ضربه أرميك رمي؛ أني ما بيّه حيل الكراتيه مالتك".

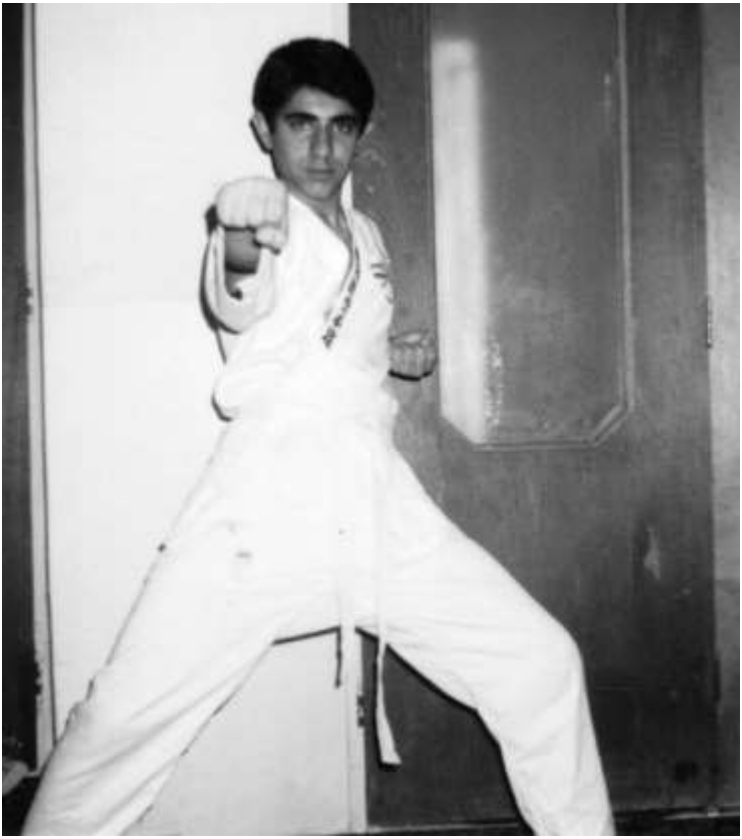

الشهيد علي الأنصاري عندما كان طالبا في مدرسة الفنون القتالية

هكذا عشنا، حتى عرفت كلَّ شيء عنه، أعرفه عندما يكون غاضباً، كما وأعرفه إذا كان هناك أمرٌ يفرحه.

عندما أُشاهد عليّاً يبتسم وهو ينادي: "حجّي أبو علي .. شلونك؟ شخبارك؟ هواي مشتاقلك"، أعرف حينَها أنّ عليّاً قد أعلن الإفلاس، ويريد منّي نقوداً، فهو عندما ينادي: "أبا علي" يعني بذلك الإشارة لطلب المال.

في بعض الأحيان أسأله وأنا أعلم ما به؛ لأنَّ لعلي وجه واحد وهو الابتسامة دائماً، فعندما تراه غير مبتسم فحتماً هناك شيءٌ ما يُحزنه.

كان يحاول اخفاء بعض الأمور عليَّ فيما تخصُّ عملَه أو فيما يخص ما يحدث معي، لكن كما قلت سابقاً لعلي وجهٌ واحد.

عندما أقول له: تحدَّث؛ فأنا أعلم ما بك، وأعلم أنَّك حزين من أمرٍ ما.

حينها يتحدَّث إليَّ.

قلتُ له: ما بك؟ ما الذي يزعجك؟

قال: بعض الناس.

- ما بهم.

- البعض يظنّون أنَّني سببُ أذيّتهم، وإن لم أتسبّب بأذيتهم، بل أُصرُّ للدفاع عنهم مع وجود أخطاء لديهم، والبعض يحذر من الكلام أمامي وكلّ ظنَّه أنّي أُذن صاغية لنقل كلّ ما يدور، بينما أنا لستُ كذلك تماماً؛ فأنا أنا أعمل في مؤسسة وأؤدّي عملي كموظّف فيها مهما كانت صلة القرابة التي تربطني بمن

يرأسها، فهذا الشيء لا يعنيني، فعندما أُحرج للتدخّل، أتدّخل لصالحهم حتى مع علمي بأخطائهم.

حينها أجبتُه بكلمةٍ واحدةٍ فقط: بينك وما بين الله هل ظلمت أحداً؟

قال: كلا، بل سعيت لإصلاح أمر الكثير منهم.

- اذن لا تحزن ولا تغضب إن لم تظلم شخصاً، فكلّ الذي يدور حولك هو سوء فهم وبعضه ظنون، وحتماً في يومٍ ما سيتغيّر هذا الحديث وسيكتشفون الحقيقة.

وفعلاً بعد أن نال علي وسامَ الشهادة بكى عليه الجميع، وأكثر مَن بكى عليه هم الذي كان يتحدّثون بالسوء عنه؛ لأنَّهم اطّلعوا على الحقيقة وعرفوا أنَّ عليّاً لم يؤذهم.

وبعضهم جاءني وتحدَّث إليَّ بكلّ شجاعة قائلاً: أنا ظلمت عليّاً، وتكلّمت عنه بالسوء، لكن ثبت لي عكس ذلك الكلام تماماً.

لذا فإنَّ فقداني لعلي وشعوري بالحزن عليه ليس لفراق أب لابنه فقط، بل أنا فقدتُه صديقاً صادقاً معي، الصديق الذي

كان يتحدَّث لي عن مشاكله وهمومه، وكنت أنا أتحدَّث إليه أيضاً عمّا يدور في داخلي.

عليٌّ لم يكن ولدي فقط، بل كان أخي وصديقي، وكلّ شيء جميل حولي.

عندما أخلو مع نفسي وأتذكّر مواقفه يخيّم عليَّ الحزن لكن سرعان ما أتذكّر أنَّه قد رحل شهيداً فأفرح وأشعر بالاطمئنان أكثر حين أعلم أنَّه في حياة يسعى لها الكثير ولم يدركوها.

الشهيد علي الانصاري مع والدته في احد السفرات العائلية

إنّي حزينة لفقد العاطفة

أمُّ علي:

كلّ حزني لعلي وفقداني له ليس لفقدان أمٍّ لولدها، فأنا أعلم أنَّ عليّاً شهيدٌ، وذلك مقامٌ لا يناله إلاّ من أحبَّه الله واجتباه،

لكني حزني عليه لفقد العاطفة والحنان، لقد كان علي حنوناً جدّاً وذا قلبٍ طيّبٍ. لم أكن أشعر بأنَّه ابن لي فقط، بل كان يعني لي الكثير، فهو أبي وأُمّي وولدي، بل كلّ شيء، اسألوا كلَّ الذين يعرفوه بماذا يتمتَّع علي؟! سيخبرك الجميع: بأنَّه كان يتمتَّع بالحنان وطيبة القلب.

الشهيد علي الأنصاري مع زملائه وهم يستعدون لمهرجان الغدير السنوي

وهل يكفي لمواقف علي؟

أحد أصدقاء الشهيد:

عندما تفكّر أن تكتبَ قصَّةً عن شهيد ولو كانت صغيرة، فعليك أن تبحث في كلّ حياته التي عاشها حتى تتمكّن من إيصال جزء منها إلى مَن يريد التعرّف عليه، أيام وربما

أصبحت أشهر تلك الأيام التي بحثت فيها عن حياة علي التي عاشها.

فكلّ يومٍ ومن كلّ قصة أكتشف شيئاً جديداً يحمل بين طيّاته قصّةً أُخرى، حتى صرت أُفكّر بأن أجمعَ كلَّ تلك القصص والمواقف في كتاب حتى لو كان بسيطاً، لكن المهم أن يجمع كلَّ ما يخصّ عليّ الأنصاري.

عندما أجلس وأنا أُحاور أحد أصدقاء الشهيد أو أحد أفراد عائلته لا أُخرج قلماً ولا حتى ورقةً أكتب فيها ما أسمع، بل أُحاول الصمت والاستماع لما يقولون، فعندما أستمع لموقف عاشه مع صديقٍ أو مقلب عمله بصديقٍ آخر لا ينتهي ذلك الموقف، بل أبقى أبحث عن شخصٍ آخر يكمل لي قصةً أُخرى، وكأنّي أُشاهد مسلسلاً لا أُريدها أن تنتهي.

تعرّفت على صديقٍ لعلي عاش معه كثيراً، فذهبت إليه وعرّفته بنفسي، ثم قلت له: لا أُريد أن أُطيل عليك الحديث وربما أنت مشغولٌ أو لديك عمل، أنا أبحث عن مواقف لعلي

الأنصاري عشتَها معه؛ كي أُدوّنها في كتاب، ومن أجل أن تبقى تلك المواقف راسخة في عقول وقلوب محبّيه.

فإذا به يسألني سؤالاً لم يخطر على بالي ولم أكن مُهيئاً له جواباً، فقد قال لي: كم يبلغ عدد صفحات كتابك عن علي؟

قلت له: لا أعلم، لكنّي لا أُريده أن يكون كبيراً؛ كي لا يُملّ.

ابتسمَ وهو يقول: وهل يكفي لمواقف علي؟

- لا أعلم يكفي أو لا، لكنّي ربما أقتصر في كتاب على ما هو مؤثّر جداً.

- أنا كذلك لا أُريد أن أُطيل عليك الحديث عن علي، وأقول لك هكذا كان علي وهكذا .. ، وتبقى أنت في حيرة قلمك بين الأسطر التي سأقولها لك.

- إذن لا تريد الحديث؟!

- لا، على العكس من ذلك، بل أُريد الحديث، إلا أنَّ ما سأقوله لك قد تكون سمعتَه من غيري؛ لأنَّ عليّاً كان صديقاً لجميع الأصدقاء في قلبٍ واحدٍ وروحٍ واحدة، وصاحب وجه واحد تعلوه الابتسامة دائماً.

فهو ذاته معي ومع غيري؛ لذلك سترى أنَّ كلَّ القصص التي دوّنتَها متشابهة، مثلاً إذا أردتُ أن أقول لك: بأنَّه كان يقاسمني مرتَّبه لعدّة أشهر؛ نظراً لمروري بظرفٍ مادّي صعب، وقد فعلها مع غيري؛ لذا قد تكون سمعتَها من غيري أيضاً.

إذا قلتُ لك: إنَّ عليَّاً أصدقُ صديقٍ عرفتُه، ولا أعتقد أنّي سأعرف أحداً بتلك المصداقية، ستقول لي: إنَّك سمعتها أيضاً.

- اذن أنت لا تحتفظ بشيءٍ مختلف عن الآخرين؟!

- أنا صادق معك، ولن تجد شيئاً يختلف مع الآخرين. نعم، ربما تختلف عناوين المواقف، لكن جميعها موقفٌ واحدٌ، وهي الشهامة التي عاشها معنا.

انا أكبر من علي بعدّة سنوات، لكن ستبتسم إذا قلت لك: إنَّه كان بمثابة أبي وأخي الأكبر، فعندما أقع في حيرة أو تتعثّر بي السبل كنت أجد نفسي واقفاً على باب داره حتى وإن كانت الساعة متأخّرة من الليل؛ لأنّي كنت على يقين إذا ذهبت وأنا كلّي همٌّ وحُزنٌ سأجدُ عليَّاً مبتسماً ويهوّن عليَّ كلَّ شيء، حتى يصوّر لي أنَّ همّي وانشغالي في هذه الدنيا إنَّما هو

انشغالٌ بشيءٍ تافهٍ جدّاً، واهتمامي فيه يعني فراغي لا همّي، فأعود ـ بعد لقائي به ـ إلى سريري وأضع رأسي على الوسادة وكأنَّ جبلاً أُزيح من صدري، وأعود فرحاً لامتلاكي صديقاً يهوّن عليَّ ويقف معي إن احتجت له.

عندما اختار عليٌّ طريقَ الجهاد لم أخف عليه ـ مع شدّة حبّي له ـ لأنّي كنت أتصوّر أنّي لن أفقده؛ لأنَّ مَن ينال وسام الشهادة لا يكون بالعمر الذي فيه علي، ولا يبتسم كثيراً كعلي، وليس لديه أصدقاء كأصدقائه يخرج ويمزح معهم، وبهذا كنت أُطمئن نفسي بنفسي.

حتى جاء ذلك الصباح الذي ربما لا أستطيع وصفَه لك؛ لصعوبة ما عشتُه قبل أربع سنوات، لكن لك أن تتخيّل إنساناً اتخذ من صديقه كلَّ شيء ويستيقظ صباحاً فيجد أنَّ صديقه هذا قد رحل، وأصبح قصّةً أو ربّما صورة فقط.

ماذا سيكون شعورك؟!

ثلاثة أيام أجلس فيها عند باب العزاء ولم أتخيّل من تلك الأيام ولو لساعة أنَّ هذا العزاء لذلك الصديق، حتى الطعام، فإنّي لم أنتبه لنفسي حتى شعرت بالضعف، حتى شعر مَن حولي بوضعي الصحي الذي بدى في عدّه التنازلي؛ بسبب عدم تناولي لأيّ طعامٍ منذ عدّة أيام.

أضع أمامي كلَّ صوره التي كُتب عليها كلمة (شهيد)؛ كي أتقبّل فكرة رحيله، لكن لا فائدة! أستيقظ صباحاً وأذهب إلى روضة الشهداء وأجلس عند قبره الذي لم يجف بعد، لكن سرعان ما أقوم وأنسى وأُريد أن أُعيد الاتصال به؛ لعلَّه يجيب على اتصالي في هذه المرَّة.

مضت أسابيع على تلك الأيام وأنا بين تقبّل فكرة رحيله وبين انكارها، فأُحدّث نفسي بأنَّه سيعاود الاتصال بي اليوم وسيحدّد لنا ساعة جديدة نلتقي بها الليلة.

الباب الذي وقفت عنده لسنوات في أيام وساعات مختلفة، حتى صار مَن في البيت يميّزون طرقتي للباب، فما إن أطرق الباب حتى يقولوا: نادوا عليّاً، فقد جاء فلان.

أمّا الآن فإنَّي لا أستطيع الوقوف عند ذلك الباب مرَّةً أُخرى، ولا أُريد لهم أن يفزعوا من طرقي للباب؛ إذ يروني واقفاً هناك، بينما عليّ في روضة الشهداء نائماً تحت ترابها.

كما أنَّي لا أستطيع الذهاب ولا أُريد الدخول لبيتهم ـ مع إحساسي بالذنب من مقاطعتهم ـ لأنَّ كلَّ شيءٍ فيَّ يرفض الذهاب ودخول الدار حتى أشعر وكأنَّي في صراع مع نفسي.

كيف أستطيع أن أدخل الدار التي كان يدخلني إليها بيده، ويجلسني فيها ونبقى فيها لساعات.

أيام كثيرة أشرقت علينا الشمس ونحن مازلنا جالسين نتكلّم.

كلّ الأماكن التي كان يحبّ الجلوس فيها لازالت في مُخيّلتي وكأنّي أراه جالساً فيها؛ لذلك أشعر في كلّ يوم بالذنب؛ لعدم زيارتهم كثيراً، لكنَّ الله وحده يعلم ما في القلوب.

ثم التفت إليَّ صديقُ الشهيد قائلاً: أراك ساكتاً لا تكتب شيئاً بعد؟!

فقلتُ له: ماذا أكتبُ مثلاً؟ وحتى لو أردتُ أن أكتبَ شيئاً ما فلم أستطع كتابتُه الآن؛ لأنَّ النظر إلى ملامح وجهك الحزين شغلني عن كتابة ما أرغب في كتابته عن الشهيد؛ فأنا أشعر بما تقول وأتحسسّ كلَّ ما قلتَه حتى أشعرني بالعجز، العجز ليس لحزنك على فراق علي؛ فأنا جلست أياماً طويلة أمام وجه أُمّه التي حدّثتني عن ولدها الوحيد وشعورها بفراقه، بل حتى دموعك التي سالت الآن بلا شعور منك أمام ناظري لم تُشعرني بالعجب.

إلاّ أنَّ الذي حيّرني وأشعرني بالعجز والعجب هو ما الذي زرعه عليٌّ فيك حتى صيّرك بالحال الذي أنت فيه الآن؟! فحدّثني الآن عنه وكيف أنَّه استحوذ على قلبك وعقلك وعلى كلِّ شيءٍ فيك؟

حتماً ما به أنت الآن لم يأت من فراغ، فأنتَ تحوي ما زرعه عليٌّ فيك لسنوات، لكن ما تلك الروح والنفسية التي كان يتمتّع بها حتى جعلك تحدّثني هكذا عن فراقه في السنة الرابعة على استشهاده، وكأنَّه استشهد البارحة.

- هل تذكّرتَ كلماتي في مطلع كلامك عندما قلت لك: لا تكتب حتى لا تشعر بالعجز.

أتذكّر كلمة لعلي عندما كان يواجه صديقاً صعباً في العمل أو في الادارة، فأراه بحالةٍ لم أعتد على رؤيته عليها مسبقاً، فأسأله ما بك؟

يقول: لا شيء، لكنّي أبحث عن شيءٍ.

وأنا أُجيب مسرعاً بكلِّ اهتمام: ما هذا الشيء؟

فيبتسم عندما يرى اهتمامي ويقول: أبحث عن جهاز استنساخ بمقدوره استنساخ علي الأنصاري عدَّة نسخ حتى أضع كلَّ نسخة في مكانٍ مُعيّن، وعند قدومي لقضاء عمل، أجدهم أمامي بمثل اهتمامي، ليقضوا لي حاجتي.

كنت أبتسم وأقول له: هل تعقل ما تقول؟!

أمّا الآن وقد رحل علي، وصرت أنا الآن أبحث عن جهاز يستطيع أن يصنع لي صديقاً واحداً فقط مثلَ ذلك الصديق.

انتهى الحديث بدقائق قصيرة مرَّت عليَّ دون أن أتعرّف على عدد دقائقها، لكن ساعتي تُشير إلى أنَّ حديثَنا طال لساعتين لم أنتبه لهنَّ أبداً.

الشهيد علي الأنصاري مع والده في موكبهم الحسيني في مدينة الشوش

كان خادماً للحسين عليه السلام

أبو علي:

ربّيتُ عليَّاً على خدمة الإمام الحسين عليه السلام، هذه الخدمة التي تربّيتُ أنا عليها من خلال والدي الذي عرف بخدمته للإمام الحسين عليه السلام، حتى اعتقاله وقتله بحقنة سامة جاءت نتيجة الخدمة الحسينيّة، فوالدي لم يكن سياسياً ولا صاحب حزب، بل كان صاحب موكب حسيني فقط.

وهكذا ربّيتُ عليَّاً على تلك الخدمة التي لم يخدم فيها شخصٌ إلاّ وتخرّج منها ملكاً وليس خادماً.

كنتُ صاحبَ موكبٍ حسينّيٍ في مدينة الشوش في إيران يُسمّى (موكب الزهراء عليها السلام).

حينها كان علي صغيراً جداً وعندما كبر قليلاً وصار يدرك معنى الخدمة، جئت به معي إلى موكبنا، ومن هنا بدأت علاقة علي مع الخدمة الحسينيّة، لم يكن يستطيع حينَها الوصول إلى أواني الشاي أو الماء وهو واقف كي يقدّمه للناس، فكان يجلب كرسيّاً ويقف فوقَ الكرسي ويقوم بخدمة عُشّاق أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

عدنا إلى العراق عام ٢٠٠٣م عمل علي في مجال الإعلام وصار لا يستطيع أن يجمع بين العمل وخدمة الإمام الحسين عليه السلام، إلاّ أنَّه بعد مدّة رأيتُه يقوم بتصوير زوّار الإمام الحسين عليه السلام.

لقد اتخذ علي مَن التصوير عملاً آخر اضافةً لعمله؛ كي يستطيع مرافقة الوفود الإعلامية الخاصة بتغطية الزيارة الأربعينية.

الشهيد علي الأنصاري أثناء التغطية الإعلامية للزيارة الأربعينية

فكان يرافق تلك المسيرة منذ انطلاقها من البصرة وصولاً إلى كربلاء المقدَّسة، ويبقى هناك حتى نهاية الزيارة الأربعينيّة،

كان ذلك يتكرّر في كلِّ عامٍ، حتى رحل عن هذه الدنيا شهيداً؛ ليكون مَن أنصار أبي عبد الله الحسين عليه السلام الحقيقيّين والصادقين.

لوحة فنية للرسام زمان الشرع وثق فيها لحظة استشهاد علي الأنصاري

سأكون أنا أوّل الشهداء

في عام ٢٠١٣م كنا مكلَّفين بعملٍ خاصٍ أنا والشهيد علي الأنصاري والصديق العزيز السيّد محمّد الياسري، والأخ العزيز السيّد أبو تراب.

وكلّ يوم بعد اتمام العمل نجلس سويّةً ونتحدّث عن أعمالنا، وعن الملف السوري، وعن الشهداء في سوريا.

حينها كان لا وجود لداعش في العراق، ولم يكن الحشد موجوداً أيضاً، وكان عملنا على الملف الخارجي فقط.

وفي أحد الأيام كان علي يتحدّث لنا عن حلمه بتأسيس مديريّة أو قسم يختص بالشهداء، وتوثيق كلّ شيءٍ عن الشهداء، وتحدّث لنا عن تجربة الجمهورية الإسلامية مع الشهداء.

كانت فكرة جيّدة جدّاً وأيّدناه بتلك الفكرة.

ومن باب المزاح قلنا له: لو أردتَ أن تؤسّس هذه المديريّة أو القسم فمَن هو الشهيد الذي ستوثّق له أولاً؟

نظر إلى وجوهنا وضحك ضحكتَه المشهورة وقال: "وجوهكم ما بيها شهيد"، فضحكنا جميعاً.

بعدها قال: "لا، إن شاء الله راح أأسس قسم توثيق آثار الشهداء وسأكون أنا أوّل الشهداء".

طبعاً ابتسمنا جميعاً وقلنا له: إنّه مجرّد حلم، فلم نعمل أي شيء بعد.

مضت الأيام والشهور ودخل داعش إلى العراق وأصبح لدينا عشرات الشهداء.

وتحقّق حلم علي بتأسيس قسم توثيق الشهداء، وفعلاً كان هو أوّل شهيد يوثّق له في هذه القسم، كان هو المعدّ والمخرج لحلقة استشهاده!

وببركة دماء الشهداء المباركة ودم علي انطلق عمل توثيق الشهداء، وترأّس السيّد محمّد الياسري هذا القسم المبارك بعد رحيل علي؛ ليكمل حلم الأنصاري بتوثيق آثار الشهداء.

لم يُنسَ علي حتى ساعة

أربع سنوات مرّت على فراق علي إلاّ أننا عندما نجلس سويةً فإنَّ ذكر علي لم يفارقنا ولو لساعةٍ واحدةٍ؛ فكلُّ قصّةٍ نتكلّم بها ونذكرها تنتهي أو تبدأ بـعلي، وعندما نتكلّم عن موقف عام نجد علياً بيننا في هذا الموقف بلا شعور.

حتى عندما نسافر لسياحةٍ أو زيارةٍ فإنَّها لا تخلو من ذكره أبداً، نحن لا نقصد ذكره عمداً، لكن علي ترك لنا عشرات المواقف التي ما زالت تعيش معنا وتتجدّد في كلِّ يوم.

حتى ابنته زينب فمع صغر سنّها وقلّة مشاركتها حديثنا؛ لصغر عمرها، لكنَّها عندما تريد أن تتكلّم تذكر والدها بموقف، "بابا اشترى لي هذه اللعبة"، "بابا أركبني بتلك اللعبة"، حتى آيبادها الشخصي - والذي أغلب الأطفال يرغبون باللعب فيه- مليء بصورها هي ووالدها، فعندما تقول لها: أرني ما لديكِ؟ فتخرج لك صورها مع والدها وتبقى تحدّثك عن الصور وأين أُلتقطت.

عندما أدخل إلى المطبخ وأرى أنَّ أُمَّ علي تعدّ لنا شيئاً من الطعام أسألها: ماذا طبختي اليوم؟

ترد عليَّ -وهي غير منتبهة لما تقول-: طبختُ أكثر أكلة يحبّها علي، طبخت الفاصوليا.

وتبقى تحدّثك عن الاكلات التي كان يحبّها أو عن المواقف التي حصلت معه أثناء الطعام، فإذا قلت لكم: إنَّ عليّاً لم يُنسَ لدقائق، ستقولون: إنَّك تبالغ، لكنَّ هذا هو الواقع لم يُنسَ علي ولو لدقائق؛ لأنَّ كلَّ شيء يشير إلى علي.

عندما ترفع رأسَك ـ وأنت جالسٌ في الصالة ـ ترى على كلِّ جدار صورة لعلي، وإن دخلت غرفة الضيوف سترى أنَّ عليّاً واقفٌ أمامك، إنَّ مرَّ عليك وقتٌ قصير لم يُذكر فيه اسمه،

فانتظر حتماً سيقوم أبو علي من مكانه وقبل أن يقف وهو يتكئ على الحائط ينادي باسم علي "علاوي يابويه".

في بعض الأيام أراه مُتعباً، فأساله هل تعاني من شيء؟ هل بان عليك الكبر وصرت تتعب؟!

فيبتسم ويردّ بحسرة لم تكن أسرع من قدحة السيجارة التي سرعان ما تراه قد وضعها بين شفتيه وهو يقول: والله لم يُتعبْني شيء بقدر فراق علي، لقد أتعبني فراقُه كثيراً وهدّتني.

هنا تصمت ولا ترد وتبقى تنظر بعينيك فقط، وربما تبالغ بالصمت وأنت تختنق بتلك العبرة التي لا تستطيع اخفائها كثيراً عندما ترى أُمَّه وأباه جالسين وحيدين في الدار بعد أن رحل عنهم ولدهم الوحيد شهيداً.

زينب علي الأنصاري وهي تحمل صورة والدها الشهيد

كنت مع الأنصاري

كنّا أنا وعلي الأنصاري معاً في معركة جلولاء و السعدية ، نجلس في خيمه باردة جدّاً، ونتكلّم عن موعد ساعة الصفر، ومع أي محور سنكون.

هنا رنَّ هاتف علي، تكلّم مع زوجته، وطلبت زوجته منه الحديث مع ابنته زينب، تكلّم معها: "ها بويه زنوبه، ها عمري، قالت له: بابه لعبت بغراضك، قال العبي بيهن، قالت: بابا فلشتهن الك كلهن وكسرت كل غراضك، قال: بابا كسري كل شي فدوه الج".

غلق الهاتف، مع حسرات اشتياق، قال لي: أبو لواء، تعرف زينب لماذا تقول لي أنا كسّرت ولعبت بغراضك؟ قلت له: لماذا؟ قال: تتصوّر أنا قريب على البيت، وتقول لي هكذا، من أجل المجيء.

في أوّل دقائق الإصابة، قال علي للأصدقاء: ديروا بالكم على زينب، ولم يكن جرحه خطيرً أبداً، وبقي يكرّر بالوصية على زينب، حتى أغمض عينيه وهو يقول زينب.

الشهيد علي الأنصاري مع ابنته زينب على شاطئ بحر قزوين

كان لي أب

كلّ شيءٍ حولها يُذكّرها بأبيها، فهي لا تريد أن تنساه أبداً، وعندما أفتح ايبادها أجد أنَّها قد وضعت صورةَ أبيها كخلفية للشاشة، وعندما أدخل إلى أي برنامج أو لعبة كذلك أجد أنَّها قد وضعت صورةً لوالدها.

أحيانا نتحدّث عن أي شيء عام في داخل البيت، كسفرة أو مطعم، فأوّل ما تذكر أباها، وتقول: أنا ذهبت إلى هناك مع والدي، أركبني أبي الطيارة ولعب معي.

تقول أمُّ زينب:

في أحد الأيام كنت أُرتّب أغراضَها الشخصيّة عند تواجدها في المدرسة، فوجدتُ أنَّها قد وضعت ورقةً صغيرةً بين ثيابها، أخرجتُها لأرى ما فيها، فكانت ورقة تحمل كلمات خطّتها بيدها تتحدّث فيها عن والدها قائلة: "كان لي أب هو أجمل أب في الدنيا، كان يأخذني ويسافر معنا كثيراً، حتى أتذكّر أننا سافرنا إلى أربيل، فكانت سفرة جميلة جدّاً وقد استأنسنا فيها كثيراً. أمّا الآن فقد رحل والدي ولم يعد لي أب كما في السابق".

رأيتُ ولدي بجانبي

أُمُّ علي:

سرحتُ في خيالي وأنا أنظر إلى وجه ولدي حتى رأيته بجانبي، وتكلَّم معي، فاحتضنته وشممت عطره، لم أكن نائمة

ولم يغمض لي جفن، فهي لم تكن رؤيا، بينما أنا كذلك وإذا بأبي علي يسألني عن سبب هذا العطر الجميل في الغرفة، الأمر الذي أثار استغرابي!!

سألته: هل فعلاً تشم رائحةً طيّبةً؟

قال: إي والله أشمُّ رائحةً طيّبةً تملأ أرجاء الدار، إنَّها رائحة لم أشمّها من قبل.

أجبتُه بصمت: نعم، حقّاً لم تعتد عليها؛ لأنَّها رائحة عطر علي، ثم تداركتُ نفسي قائلة: ماذا؟ عطر علي؟ نعم قبل دقائق كان علي هنا وشعرت به واحتضنته واحتضنني حتى شممت هذا العطر يفوح منه، إنَّه العطر الذي تملأ رائحتُه الدار بأكملها، فقد مرَّ عليَّ من هنا.

لم أُكمل كلامي بعد، حتى أغرورقتْ عيناي بالدموع وشهقتُ باكيةً.

وكأنه وجد قبر ولده

أوقفت سيارةَ أُجرة وقلت له: أُريد الذهاب إلى روضة الشهداء.

قال: تفضّل

-كم تطلب أُجرةً على ذلك؟

- لا نختلف إن كنتَ قاصداً الذهاب إلى الشهداء.

اتّجهنا إلى مقصدنا وأنا سارح في خيالي أُشاهد تلك الوجوه التي زيّنت وادي السلام بابتساماتهم المشرقة، وأنا صامت لا

أتكلّم حتى بادرني هذا الرجل الذي بان على وجهه الكرم والطيب لسؤالي إن كنت أمتلك أخاً أو صديقاً في روضة الشهداء؟

- إن قلت لك: لي أخ ربما ينقدح في ذهنك الأخ الصلبي المتعارف عليه من أُمّك وأبيك.

- نعم.

- لا، فإنَّ لي أُخوة هنا، لكنَّهم ليسوا من أُمّي أبي، إنَّما أُخوة من ساحات الجهاد، فنحن لم نحمل اسماً واحداً، لكن عشرات المواقف تجمعنا، كنّا أُخوه في كلِّ شيءٍ، حتى فرَّقنا الرصاص، ذلك الرصاص الذي حوّلهم أحياء وأماتنا نحن الذي مازلنا أحياء في عالم الموتى.

صمتَ قليلاً، ثم قال: اذن أنت صديقهم وجئت إلى هنا كي تزورهم؟

- نعم.

- أنا في بعض الأحيان أتصفح النت مستخدماً موبايل أولادي؛ لأنَّ عمَّك لا يحسن استخدام تلك الهواتف الذكيّة

وأبقى أُشاهد بطولات الحشد الشعبي وقواتنا الأمنية وهم يصدّون الإرهاب، لكنَّني يا عمّي انكسر قلبي لمقطع فيديو يخصُّ شهيداً وقع وصوّره أصدقاؤه القريبون عليه، وهو يردّد الشهادة بالفيديو. "عمّي الله وكيلك ما أعرفه من يا عرب بس كلّما يصير الفيديو أمامي أبكي وأنا أنظر إليه وهو يردّد الشهادة بكلِّ شجاعة".

ـ أخرجت هاتفي وأظهرت له الفيديو وقلت له: هل تقصد هذا؟

ـ قال: نعم.

ابتسمت، فبادر لسؤالي عن سبب ابتسامتي، فقلت له: لأنَّ مقصدنا واحد فأنا ذاهب لهذا الشهيد الذي أنت تبكي كلّما تشاهده، فلعلّ الله جمعنا كي نزور قبره في روضة الشهداء سويةً.

ردَّ عليَّ قائلاً: أتتحدّث صادقاً يا عمّ؟ هل تعرفه حقّاً؟!

قلت له: نعم هو أحد أصدقائي الشهداء، إنَّه الشهيد علي الأنصاري.

وصلنا إلى روضة الشهداء فترجّلت من السيارة وصاحب السيارة ترجَّل خلفي بسرعة، وكأنَّه يبحث عن شيءٍ قد فقده منذ زمن بعيد.

وصلنا إلى قبر علي وقلت له: هذا قبر الشهيد علي الأنصاري صاحب الفيديو.

انحنى على القبر باكياً حتى مزجَ دموعَه باسم علي، انحنى وهو يشهق بصوتٍ وكأنَّه وجد قبر ولده الذي كان يجهل مكانه.

ما كان منّي إلاّ أن أخرجت هاتفي والتقطت له صورةً وهو ينحني على قبر الشهيد.

الشهيد علي الأنصاري مع احد أصدقائه في سفرة سياحية

نموت معاً

أحد أصدقاء الشهيد:

لقد جسّد علي كلَّ معاني الصداقة الحقيقية في صداقته مع الجميع.

جسّد المعنى الحقيقي للوفاء مع الصديق؛ ففي أحد الأيام كنّا جالسين مع الأصدقاء على شاطي الكوفة وكان عليٌّ بيننا، أعددنا الطعام وأكلناه وتمازحنا حتى تعبنا وأرهقنا المزاح.

جاء دور السباحة، وكان أغلبنا لا يجيدها بشكلٍ تامّ، وأنا كنت لا أجيدها أصلاً، لكن الأجواء والروح الجماعية دفعتني للنزول إلى الماء.

أغرّني الماء بهدوئه ولونه الجميل لينتهي بي المطاف أن لا تصل قدماي إلى أرض نهر الفرات، ولم أقوَ على الوصول إلى الشاطئ.

سلّمتُ أمري وانتهى كلُّ شيء، حتى بدأ اليأس من النجاة، فكنتُ أشعر بنفسي ميّتاً لا محالة.

لم يكن قد مرّ عليَّ الكثير من الوقت، ولكنّها كانت لحظات صعبة والماء يأخذني يميناً وشمالاً، بينما أنا على هذه الحال وإذا بي أرى عليّاً بجانبي يحاول انقاذي، علي الذي لا يسبح بصورة جيّدة.

كانت ثواني، إلاّ أنّه في تلك الثواني استذكرت أبا علي وأمَّ علي، فماذا سيحدث إن فقدوا ابنَهم وهو ينقذني وأنا أعلم أنَّ عليّاً وحيدهم.

حاولت منعُه من الاقتراب إليَّ لكنَّه أصرَّ حتى دفعني وهو يدخل إلى عمق المياه، وقد كرَّرها مرَّات حتى وصلت إلى شاطئ الأمان، وما خرج هو إلاّ بشق الأنفس.

ربما كانت ثواني تفصل بين علي وبين مفارقة الحياة بسبب انقاذي.

وعندما قلت له: لماذا فعلت هذا؟

الشهيد علي الأنصاري وهو في واجب إعلامي في اهوار محافظة الناصرية

قال: والله أغرق ألف مرَّة معك ونموت معاً، أفضل لي من أن أعود إلى أهلك بملابسك فقط.

من هنا علمت أنَّ هذا هو الصديق الحقيقي، وهكذا هو الوفاء للصديق.

مَن هو الأنصاري؟

والدة الشهيد حسين الجبوري:

أكملت صلاة الفجر وعدت إلى فراشي استعداداً للنوم، لم يمرّ على نومي كثيراً حتى فتح باب البيت ووضع نعش ولدي في داخل البيت وهو مخضّباً بالدماء.

انحنيت على جسده وأنا أصرخ واضرب وجهي حتى امتزج دم وجهي بدم ولدي.

بعض النسوة قمن برفعي من على النعش وأنا أرفع بجسده معي، لم أكن أعي ما فعلته بنفسي بعد ذلك ولم أشعر بمَن حولي.

رفعوا النعش وشُيّع تشييع الأبطال والقادة، حفّوه بالأهازيج وإطلاق النار والأعلام التي ترفرف فوق نعش ولدي.

وصلنا إلى النجف الأشرف حيث شارع الطوسي الذي هو ممرّ النعوش المتّجهة نحو حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وهناك عند باب الحرم وجدتُ شابّاً جميلاً لم يكن شكله غريب عليَّ، شاب بعمر الورود يحمل بين يديه سجلاً كبيراً وقلماً يخطّ به أسماء أُمّهات الشهداء اللواتي يسمح لهنَّ بالدخول مع أبنائهن أو لا يسمح لهنَّ.

وصلت إليه وأنا متيقّنة من أنَّني سأمرّ مع ولدي الشهيد.

لكن عندما رأى هذا الشاب أنَّني قد أخرجت الدم من وجهي حزناً على فراق ولدي رفض دخولي خلف النعش! عرّفتُهم بنفسي قائلةً لهم: أنا والدة الشهيد حسين الجبوري.

لكن لا فائدة فهو مصرٌّ على عدم دخولي خلف نعش ولدي.

وبين ما هو يتكلّم ويكتب في سجلّه رحت أمسح وجهي بثيابي حتى أزلت كلَّ أثار الدم، ووقفت مرَّةً أُخرى أمامه وعندما رفع رأسه ليراني ابتسمت في وجهه وأخفيت الدموع؛ كي يسمح لي بالدخول.

رنَّ هاتفي واستيقظت على صوت الهاتف مرعوبةً ممّا رأيتُه في المنام من فقدان ولدي.

جلست وقلبي يكاد أن يخرج من مكانه؛ لشدّة الصدمة وعيوني مازالت تدمع، خرجت من غرفتي لأشرب الماء وأغسل وجهي، وبينما قلبي مازال يخفق سريعاً وإذا بالهاتف يرنُّ مرَّةً أُخرى، وطُرق معه الباب وبينما كنت متردّدة بين الرد على الهاتف ورؤية مَن يطرق الباب، فإذا بالباب تفتح ويدخل عليَّ نعش ولدي حسين، ولكن هذه المرَّة لم يكن حلماً، بل كان الأمر حقيقة وواقعاً.

لم أحزن ولم أنكسر، بل ابتسمت، حتى ظنَّ كلُّ مَن كان حولي أنَّه قد أصابني شيءٌ ما، إلاّ أنّ ما رأيتُه في منامي جعلني أفتخر بولدي الشهيد، وابتسم وأنا أُقبّله وذهبت معه

إلى النجف ولم تدمع عيني حتى يسجّلني ذلك الشاب ويسمح لي أن أدخل مع ولدي.

انتهى عزاء الشهيد، وتفرّق الناس من حولي، وبقيتُ أتذكّر هذه الرؤيا التي لم تفارقني وصورة ذلك الشاب الذي منعني من الدخول.

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى تذكّرت أنَّ هذا الشاب هو الشهيد الذي بكيت عليه كلّما رأيته في مقطع الفيديو وهو يردّد الشهادة قبل استشهاده.

عدّتُ وشاهدتُ صورَه، فتيقّنتُ أنّ مَن كان يقف عند باب حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو الشهيد علي الأنصاري.

لا أعرفه قبل الشهادة

تقول إحدى المؤمنات:

كنتُ مهتمّةً جدّاً بمتابعة أخبار المجاهدين، وأين وصلوا؟ وأي مدينة تمَّ تحريرها اليوم، وهكذا أُتابع كلَّ الأخبار التي

تتحدّث عن المجاهدين في عالم التواصل الاجتماعي؛ إذ يُبثُّ فيها كلّ ما يخصّ الحرب من صور ومقاطع فيديو، لنتيقّن من خلالها شهامة وشجاعة أبنائنا أثناء القتال.

طبعًا كلّ تلك الأخبار والصور المفرحة بالنصر وتحرير الأرض، كانت تخلق لنا نصراً بطعم الحزن؛ إذ نرى في كلّ يوم صوراً لأولئك الشباب الذين رحلوا وهم بعمر الزهور.

كنت في الغالب أُتابع التعليقات التي تكتب على صورة الشهيد حتى أعرف من أي مدينةٍ هو؟ وماذا ترك هذا الشهيد في محبّيه؟

نُشرت أنباء تحرير المقدادية في ديالى وتحرَّرت أرضها، وبُثّت صور منها وهي محرَّرة بسواعد الأبطال، وكالعادة بعد ساعات من زفٍّ بشرى النصر لنا، زُفَّ الشهداء إلى بيوتهم مخضَّبين بالدماء، تعلو وجوهَهم الابتسامة لأنَّهم حقَّقوا كلا الحسنيين.

ومن بين كلّ تلك الصور والفيديوهات استوقفني هذا الفيديو الخاص بالشهيد الذي يوصي بابنته "زينب" وهو في رمقه الأخير وهو يرددّ الشهادة.

بدأت دموعي تنهمر قبل أن ينتهي هذا المقطع من الفيديو، فما أن قال ابنتي زينب حتى تذكّرت أنا ابنتي زينب، ولم أستطع بعدها السيطرة على مشاعري.

حتى عدتُ من جديد وفتحتُ ذلك الفيديو لأسمع صوته وهو يردّد الشهادة، قبل أن ينال وسام الشهادة ويغمض عينيه.

أُقسم بالله أنَّني لم أعرف هذا الشهيد، ولا أعرف أيّ مدينة يسكن؟ ولا ماذا يعمل؟ لكنَّني كنتُ مُصرّةً على متابعته وعرفت من خلال ذلك أنَّه "الشهيد علي الأنصاري" وهو مصوّر حربي ومخرج في قناة الغدير الفضائية.

لا أعلم لماذا تعلّقتُ بهذا الشهيد وكأنَّه ولدي الذي رحل منّي؟ بدأت أُصرُّ بالبحث عن حياته كثيراً حتى عرفتُ أنَّه الولد الوحيد لعائلته فزاد حزني حزناً عليه، وعرفتُ أنَّه من النجف الأشرف، وعلمتُ أيضاً أنَّه دُفن في مقبرة الشهداء.

لم تمض أيام كثيرة على شهادته حتى جئت إلى قبره وهو لم يكتمل بعد، وبقيتُ جالسة عند قبره حتى غربت الشمس.

حتى ظنَّ كلُّ مَن يدخل روضة الشهداء أنَّني من عائلة الشهيد، كان الحزن ظاهراً على وجهي حتى شعر مَن حولي بذلك، فقصصتُ عليهم قصّتي ليعلموا سبب حزني، وأريتهم هذا الفيديو، فتعاطفوا معي وهم يحاولون تهدئتي.

رفعتُ صورتَه في أرجاء البيت كلّها، ولم أترك جداراً واحداً لم ترفع عليه صورة له، حتى في اتجاه القبلة رفعت له صورة، وكلّما أقف على سجادة صلاتي أرى وجهه أمامي.

حتى قال لي زوجي: لا يصح وضع الصور في اتجاه القبلة؛ حتى لا تُشتَّت أنظار المصلّين. لكن شعوري به لم يكن كشعوري تجاه أي شهيد أراه في صفحات التواصل الاجتماعي، فشعوري تجاه علي هو كشعور الأُمّ التي فقدت وحيدها.

حتى حرّاس روضة الشهداء اعتادوا عليَّ، فأنا بين أسبوع وآخر أكون عند قبره، حتى بعض الأصدقاء والجيران ظنّوا أنَّ الشهيد من أقاربي، خصوصاً عندما يشاهدون صوره على كلِّ جداران المنزل.

كثيراً ما وجّه لي هذا السؤال، لماذا تعلّقتي بهذا الشهيد وكأنَّه من أهلكِ؟!

فأسكت، وأبقى صامتة لا أملك اجابة عن ذلك؛ لأنّي في الحقيقة لا أعلم لماذا تعلّقت بالشهيد علي الأنصاري؟ لكنّي عندما أرى له صورة وأنظر إلى عينيه أجد كلَّ شيءٍ فيه يُحدّثني.

والد الشهيد علي الانصاري وهو جالس بجانب قبر ولده الوحيد

هل سيطرق الباب مرَّةً أخرى؟

أبو علي:

أقضي كثيراً من وقتي أجلس هنا في هذه الحديقة، وأنا أتأمّل هل سيُطرق الباب مرَّةً أُخرى ويعود علي إلى المنزل.

فأعيش في سباق لا ينتهي مع السيجارة التي في يدي، لدرجة أنَّها تنطفئ بيدي دون أن أشعر بها.

أبقى أتخيّل كلَّ لحظات ذلك العمر الذي قضيناه معاً، فأبتسم أحياناً وأنا أتذكّر مواقفَه عندما كان صغيراً.

كان علي مشاغباً في صغره، فأبتسم عند تذكّر بعضها بالرغم من جلوسي لوحدي ومرور العديد من الأعوام عليها.

من تلك المواقف أنّي عُدتُ من الواجب فرأيتُ أخواته الصغيرات نائمات الواحدة تلو الأخرى وإلى جانبهنَّ مغذّيات طبّية، الأمر الذي أفزعني، فقد خرجت قبل ساعات ولم يكنّ مصابات بشيء، فماذا حصل لهن؟

عندما سألتهن: ماذا حصل؟

قلن: نحن مريضات.

أعدت عليهنَّ السؤال: ماذا حصل؟

أجبن على سؤالي: علي قال لنا نمن هنا وكنّ مريضات، وأخرج لنا هذا المغذّي.

جاء علي مبتسماً وهو يضع شيئاً على أُذنيه وقد لبس صدرية بيضاء.

سألته: علي ماذا تفعل؟

قال: بابا أنا طبيب وهنّ مريضاتي، أتريد أن تكون مريضاً معنا؟

- طيب، من أين اتيت بهذا الصدرية؟

- بابا إنَّها إحدى ثيابك البيضاء، قصصتها وخطتها كصدرية.

لم أعلم ماذا أفعل بقدر الابتسامة لهم والفرح معهم.

لم أنسَ له يوماً واحداً من حياته التي قضاها معنا.

يتوسط الصورة الشهيد علي الأنصاري بين شقيقتيه

هل علي ثقة؟

عندما نكلّف بعمل ذا مهام أمنية يسيطر علينا الحذر من كلّ شيء، ليس الأمر خوفاً على أنفسنا بقدر ما هو خوف على من حمّلنا تلك المسؤولية ووضع فينا كلَّ ثقته.

عندما كتب الله لنا شرف المشاركة في عمليات الدفاع عن مقام السيّدة زينب عليها السلام في سوريا، كان هناك جانب أمني مقتضاه حفظ السرّية التامّة لبعض المجاهدين المشاركين في الدفاع هناك، ومن بين تلك الشخصيات قادة عسكريون لا يرغبون بالظهور في أي وسيلةٍ إعلاميةٍ، لذلك سنتحمّل المسؤولية شرعاً إذا سُرّبت أي صورة لهم أو فيديو.

كنّا نتعامل مع تلك المادة التي تأتينا من هناك بسرّية تامّة والحفاظ عليها يحتاج لجهد كبير في ظلّ الحرب الإلكترونية القائمة.

بعد عام كامل من جمع أرشيف كبير ومهم لدور المجاهدين العراقيين هناك، جاء التكليف بالعمل على انتاج مادّة صالحة وخالية من الملاحظات الأمنية، لنشرها كمحفّز للمعنويات، ولإيصال صورة واضحة عمّا يقدّمه الأبطال هناك.

كنتُ أنا ومجموعة من الأخوة نمتلك جزءاً من هذا الأرشيف، وجزء آخر يمتلكه صديقنا العزيز الشهيد وعد الله المنصوري. وبعد الحديث عن انتاج مواد خاصة بالنشر من

الأرشيف المتوفّر، تساءلنا أين سيتم انتاج هذا العمل، وهو عمل يحتاج لمنتجين وحاسبات خاصة، ونحن ليس لدينا الوقت الكافي للعمل، كما أنَّه ليس من اختصاصنا أيضاً.

لم تدم التساؤلات كثيراً حتى أجابنا المسؤول عن هذا العمل، بأنَّه سيتم هذا العمل في قناة الغدير؛ فهي تتبع خطَّ المقاومة، وسيكون الأرشيف في أيادي أمينة جدّاً.

أتممنا صلاة الظهر وبعد الصلاة طلب منّي مسؤولنا الذهاب إلى قناة الغدير مساءاً عند الساعة الخامسة، وسيكون هناك شخص بانتظاري يعلم ماهية هذا العمل ويعمل عليه.

سحب القلم والورقة، وكتب هذا القصاصة الصغيرة.

أخذت القصاصة التي كتب فيها الموعد والاسم ورقم الهاتف، اتصلت به وعرّفتُه بنفسي، "أنا أبو لواء البهادلي من طرف جناب السيّد".

رحّب بي قائلاً: أنا على الموعد أنتظرك في القناة.

وفعلاً عند الساعة الخامسة ذهبنا أنا وأحد أصدقائي المجاهدين إليه، فوجدناه بانتظارنا، جلسنا معه لدقائق قليلة؛

كي يتعرَّف بعضُنا على بعض، ونباشر بعدها بالعمل المطلوب، بدى كالعادة التي لم نعتدها نحن قبل هذه الجلسة؛ اذ بدأ بالمزاح والهزل والضحك وكأنَّه يعرفنا منذ زمن طويل، قد لا يحبّب البعض هذه الطريقة في التعامل خصوصاً في اللقاء الأوّل؛ لكنَّه في الواقع كان مدركاً للظروف أكثر منّا؛ إذ وجدنا في حالة ارتباك، فأراد أن يخرجنا من أجواء الارتباك من خلال المزاح والضحك.

شرحنا له ما نريد، وهو سرعان ما تفهّم وضعنا وعرف ماذا نريد وماذا يعني هذا الأرشيف، سلّمناه جزءاً من الأرشيف وعدنا، لكن القلق كان يسيطر عليَّ طيلة الطريق، فقلت: قد يهمل هذا الشاب الأرشيف وتتسرَّب منه بعض المواد وتقع مسؤولية ذلك عليَّ.

انتهت تلك الليلة المرعبة، وأنا أحسب لعشرات المواقف، وأنتظر الصباح بفارغ الصبر، وما أن أطلَّ الصباح ذهبت مسرعاً إلى عملي كي ألتقي بالمسؤول وأؤكّد له أمام بعض الأصدقاء أنَّني أخليت مسؤوليتي من المواد المسلمة للشخص

الذي عرَّفني عليه، وبالفعل وقفت وقلت له: أنا لا أتحمّل مسؤولية الأرشيف الذي سلّمتُه البارحة، فأنا قلقٌ جدّاً.

ابتسم وقال: أتعرف هذا الشاب؟

أجبتُه: لا، لم اتعرّف عليه مسبقاً، فأنت عرَّفتني عليه البارحة.

قال لي: هذا علي الأنصاري، والده المجاهد أبو علي الأنصاري، وعمُّه الشهيد أبو علي العماري (كريم)، وجدّه شهيد وكذلك خاله أيضاً.

ابتسمت وقلت له: يعني علي ثقة؟

قال: نعم، على مرتبة عالية من الوثاقة، وهو من المقاومين وبالرغم من عمله كإعلامي إلاّ أنَّه ليس بعيداً عن خطوطنا الجهادية، وربما هو على علم ودراية بالمعلومات الأمنية أكثر منّي ومنك.

من هنا بدأت علاقتي بعلي الأنصاري، ومن تلك القصاصة وهذا الموقف صرنا نتواصل بشكل شبه يومي، حتى دخول داعش إلى العراق.

رحل علي شهيداً مخضباً بالدماء وفقدتُ صديقا صادقاً، علاقتنا بدأت برقم هاتف وأسماء مستعارة، لكنَّ الله تعالى أراد لتلك العلاقة والصداقة أن تدوم، وأن يزداد شرفنا شرفاً عندما أصبحتُ صهراً لعلي الأنصاري بعد شهادته، وأصبح هو خالاً لأبتني (ريحانة) وليس صديقاً لي فقط.

ابنتي ريحانة وهي تفترش قبر خالها الشهيد علي الأنصاري

لسان حال أمّ علي على ولدها

علمنا بالحزن الذي حلَّ على أهل الشهداء الذين فقدوا أبنائهم، فمنهم مَن فقد ولده الوحيد، ومنهم مَن فقد والده، ومنهم مَن فقد الجميع.

علمنا نعم، ولكن لا يمكن لنا أن نشعر بحزنهم على فراق أبنائهم، ولا حتى أن نعيش لحظةً واحده من ذلك الحزن.

هم يعيشون كلَّ الذكريات مع أبنائهم فمنهم، مَن يتذكّر أطفاله، ومنهم مَن يتذكّر ابتسامةَ وطيبةَ من فقده. هكذا هو حالهم حتى تبتل وسائدهم من الدموع كلَّ يوم، وينامون وقد تصدّعت رؤوسهم من البكاء والنشيج.

وأنا أتصفح أحد برامج التواصل الاجتماعي. (الواتساب) وجدتُ أنَّ والدة الشهيد علي الأنصاري كتبت عبارةً حزينةً جداً تحكي فيها مدى ألم الفراق والحزن الذي حلَّ عليها بفقدان ولدها الوحيد.

كتبت تلك الأُم قائلة:

(يمّه شلون نومتك بين الكبور

ياهو من البرد يايمه غطّاك

اكعد الخاطر الله ورد وياي للبيت

ما اكدر ابد يايمه أنساك)

كلّ يوم أفتح تلك الرسالة وأستشعر ألمها ومقدار الحزن الذي خيّم عليها بفقدانها لولدها.

لماذا تركتني وحدي؟

اعتدنا مساء كلّ يوم جمعة أن نكون في روضة الشهداء قاصدين الأحبّة، ومنهم علي الأنصاري، لكن تكررت عدّة مرّات أن نذهب ولم تذهب معنا زينب لزيارة قبر والدها.

وعندما نسألها هل تذهبين معنا؟ تقول: أنا تعبانة لا أستطيع الذهاب.

وفي إحدى الجمع ذهبنا أنا وأبو علي وأُمُّ علي وأُمُّ زينب وعندما سألنا أُمَّ زينب لماذا لم تأتِ زينب معنا؟ قالت: لا أدري، كلّما قلت لها نذهب لزيارة بابا كانت ترفض.

أتممنا الزيارة وعدنا الى البيت.

وهنا سألتها أُمّها: ماما زينب حبيبتي لماذا لم تأتِ معنا لزيارة بابا.

قالت: ما أريد.

طبعاً عندما تنظر الى وجهها وهي تقول: "ما أريد الذهاب" ستعلم مقدار الحزن الذي خيّم على وجهها الجميل.

طيب لماذا لا تريدين؟

قالت: لأنّي أُريد أن أُعاقب بابا؛ لأن بابا كان قادراً على عدم الذهاب إلى الحرب لكن ذهب ومات وتركني وحدي، وأنا أُريد أن أُعاقبه وبعد ما أذهب معكم إلى قبره؛ حتى يبقى وحده كما تركني وحدي!!

كأنك والدي

بعد الأحداث الأخيرة في العراق تَضاعف عدد الشهداء، وأصبح هناك آلاف الشهداء ... وخلف باب كلّ شهيد تجد قصةً، وفي دار كلِّ شهيد تجد مئات القصص .. في عين الأب

هناك قصة تختلف عن قصة الأُمّ .. والزوجة تنقل لك قصةً أصعب من الذي سمعته .. لكن نتوقّف عن الكتابة ويجفّ مداد الأقلام، عندما يتحدّث لك أبناء الشهيد عن والدهم ..

بعد الحديث مع والد الشهيد علي الأنصاري عن زينب ابنة الشهيد الوحيدة، سألته: هل تتذكر زينب والدها بالمواقف أو بالصور فقط ـ باعتبار أنَّه استشهد والدها وكان عمرها لا يتجاوز السنوات الست ـ؟

قال أبو علي: كنت كلّما أنظر إلى وجه زينب أجدها حزينة، فأقول لها: تعالي لنخرج ياجدو .. وتخرج معي، نمشي في أحد الشوارع وعندما أنظر لها مرَّة أُخرى أجدها لم تفرح بعد، وأشعر أنَّ الحزن قد تضاعف عليها .. فأسألها لماذا أنتِ حزينة يا ابنتي؟! فتقول لي: أنا حزينة لأنَّ مشيتك وحركة أقدامك تشبه حركة بابا؛ لذلك أنا حزينة؛ لأنَّي أتذكر بابا في كلّ خطوة.

يقول أبو علي: هذا اليوم هو أكثر يوم أحسست فيه بفقدان ولدي علي، وأكثر يوم بكيت فيه.

رسالة من مجهول

مساء يوم الخميس وصلتني رسالة وكانت عبارة عن (بصمة صوتية) من شخص مجهول لم يُسجَّل اسمه ضمن سجلّ أسماء هاتفي، ولو كنتُ أعلم بما في هذه البصمة لم أسمعها ولم أفتحها أبداً، فمجهولية مرسلها شجّعني على فتحها والاستماع إليها.

فتحت الرسائل عند المساء، فسمعتُ أبا علي الأنصاري يبكي بكاءً شديداً وهو يطلب منّي أن أذهب غداً الجمعة إلى روضة الشهداء حيث يرقد "علي" هناك، وأنَّ أغسل قبره؛ فهذه الجمعة ستكون أوّل جمعة يبقى فيها "علي" وحده، حيث أنا

في الديار المقدَّسة لحجّ بيت الله الحرام، ووالدته في مشهد المقدَّسة، فهذه الجمعة هي الجمعة الوحيدة التي سيبقى فيها ولدي وحيداً منذ استشهاده حتى الآن، ومن أقوى جمل بصمة الصوت هذه الكلمات:

"عمّي أبو لواء لا تنسى علاوي .. روحله وسلملي عليه، واغسل قبره وياك، ما أريده يبقى هاي الجمعة وحده".

بعد كلِّ كلمة يتحدّث بها والد الشهيد تخنقه العبرة فيبكي وهو يوصيني أن لا أترك "علي" وحده.

أربع سنوات مرّت على شهادة "علي" ومازال والده في كلِّ جمعة يذهب وينحني على قبره ويبكي حتى تهدأ نفسُه ..أربع سنوات ومازال أبو علي الأنصاري يلبس السواد ويبكي كلَّ ليلة على فراق ولده الوحيد، وكأنَّ عليَّاً قد رحل اليوم.

حتماً كان علي أفضل مني

أبو علي:

عشرون عاماً قضيتُها في ساحات الجهاد، أغلب تلك السنوات كنت في الخطوط الأماميّة، وفي بعض الهجومات أرى الموت بعيني، لكنَّي لم أُصب بشيء؛ وكنت أخرج في كلِّ مرَّةٍ سالماً.

تمنّيتُ الشهادة كثيراً وسعيت لها، لكنَّ الله تعالى لم يكتبها لي، وأمّا علي فهو لم يكمل عاماً واحداً بعد في ساحات الجهاد حتى رحل شهيداً.

أنا على يقين بأنَّ ولدي علي كان أفضل منّي بكثير؛ ولهذا رزقه الله وسامَ الشهادة.

انتهى الوقت ورحل الجميع

هكذا كلّ عام لم يختلف المشهد ولم ينسَ الأصدقاء صديقَهم المقرّب الذي مضى على رحيله أربعة أعوام.

هنا كلّ عام يقف الأصدقاء وفاءاً للحب والوفاء الذي زرعه "علي" في قلوب أصدقائه ومحبّيه، يقفون على قبره حاملين الورود المبلّلة بدموعهم؛ ليضعوهما على قبره، ويرشّون القبرَ بحرارة الدمع.

هنا في "روضة الشهداء" رأيتُهم جميعاً مطرقين برؤوسهم والدموع تملأ عيونَهم وكأنَّهم الآن يعيشون تلك المواقف التي جمعتهم معاً.

هذا انحنى ليضع الورد على قبر صديقه، والآخر انحنى ليُقبّل قبر رفيقه المجاهد وكأنَّه يقبّله في جبينه، وآخر يحمل الماء والحلوى ليقدّمهما للأصدقاء؛ حبّاً ووفاءً لعلي.

هنا رأيتُ كلَّ من أدركهم الوقت وحان وقت رحيلهم وكأنَّه لا يريد الرحيل وترك صديقه خلفه.

انتهى الوقت ورحل جميع مَن حضر من عالم الأموات، وبقي "علي الأنصاري" في عالم الأحياء مع رفاقه الشهداء.

كأنه لم يرحل بعد

أمُّ زينب:

رحل علي عنّي جسداً أمّا روحه فهي لا تزال معي في كلِّ يوم؛ فأنا كثيرا ما أرى عليًّا في منامي، نتكلّم أحياناً ونتناقش في بعض الأشياء، فيبدو لي الأمر وكأنَّه يعيش معي حقيقة، بل أحياناً أرى زوجي عليًّاً وهو يدافع عنّي ويشعرني بالأمان؛ لأنّا كنّا روحين في جسدين، والآن أصبحنا روحين في جسدٍ واحد.

لقد رحل علي وترك خلفه كلَّ شيءٍ جميلٍ لأعيشه مع ذكراه في كلِّ يوم، رحل وكأنه بالأمس رحل عنَّي، بل كأنَّه لم يرحل بعد!!

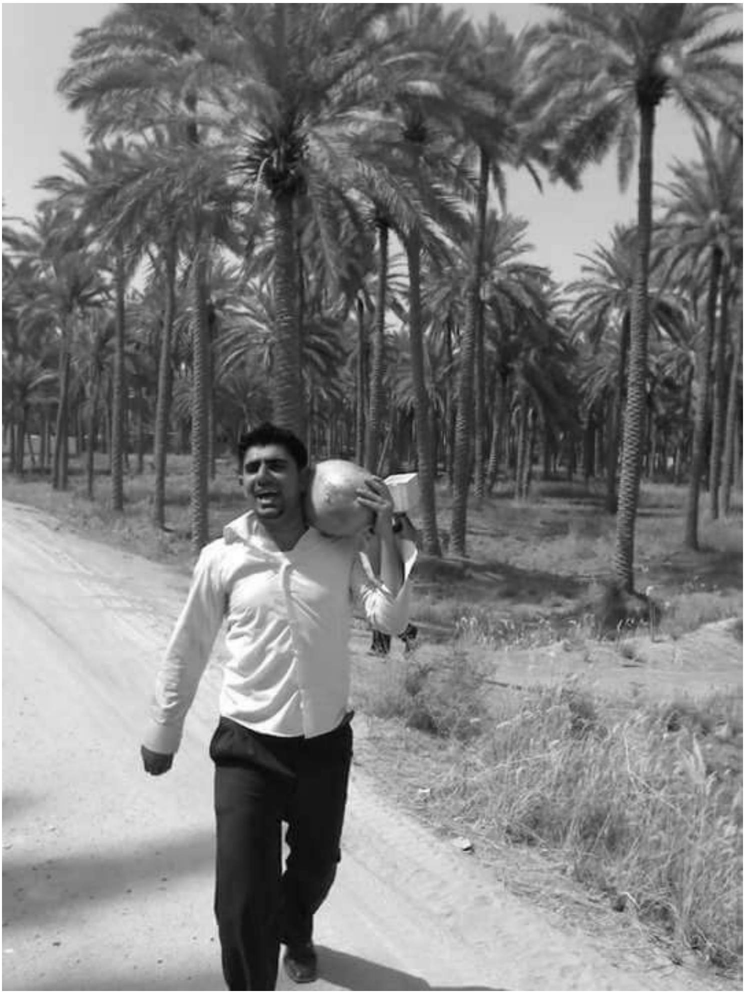

زينب علي الانصاري اثناء حفل تكليفها بالحجاب الشرعي

بابا! أنا زينب

بابا اليوم قالت لي المعلّمة: يا زينب! غداً اطلبي من أبيك أن يأتي معكِ إلى المدرسة، فجاء معي جدّي وقال لها: إنَّك مسافر في سفر طويل، بابا! أنا مشتاقه أن ترجع من سفرك وتكون معي في كلِّ يوم لنلعب ونخرج معاً، بابا! سأبقى أنتظرك حتى وإن طال سفرك، بابا! أنا زينب مشتاقة أن تكون

معي الليلة، وغداً يوم الجمعة نخرج معاً لنلعب سويةً، وأتعب فتحملني على صدرك. بابا! اليوم كنت حزينة جدّاً؛ لأنَّني وقفتُ وحيدةً في باب المدرسة وأنا أنتظرك، وأعلم أنَّك لا تستطيع المجيء، هل تعلم يا بابا في كلّ يوم جمعة تخرج صديقاتي مع أباءهم للحدائق والألعاب، وأنا في مساء كلِّ يوم جمعة أخرج مع جدّي لنطرق باب قبرك وأنت لا تخرج معنا...

النظرة الأخيرة

كلّما جلست أتصفّح الصور، أقف عند هذه الصورة؛ لأنَّها الصورة التي التقطها عليٌّ بهاتفة أثناء اصابته وقبل استشهاده بساعات.

وعندما أنظر إلى هذه الصورة وإلى ملامح وجهه الجميل أراه كأنَّه يتحدّث إلينا من خلال تلك الصورة، فحتى نظراته تتحدّث إلينا قائلة: إنَّها النظرة الأخيرة.

عندما أخرجَ عليٌّ هاتفَه والتقط تلك الصورة كأنَّه كان يعلم أنَّه سيرحل عنّا؛ لذلك ترك تلك الصورة بهذا الوجه المعبّر عن كلِّ شيء.

لمرّات كثيرة أفتح تلك الصورة وأضعها أمامي وأنظر لها بصمت؛ لعلّي أفهم شيئاً من تلك التعبيرات.

الخاتمة

عليّ...

ستبقى تتجدّد كلُّ ذكرياتك في حياتنا اليومية؛ لأنَّك ما زلت معنا تعيش كلَّ تفاصيلنا الروحية.

في كلِّ جلسة نتذكّر لك موقفاً وحديثاً، حتى أصبحنا نعيش معك كلَّ المواقف، وإن غفت عيناي عنك ساعةً ولم أرَ فيها وجهكَ الجميلَ، سأراه بأعين زوجتي وابنتي ريحانة التي أطلّت علينا في هذه الأيام عند كتابة هذه الأسطر.

الملحق الصوري

من اليسار الشهيد علي الانصاري وهو في عمر شهرين

الشهيد علي الانصاري وهو في عمر ستة اشهر

الشهيد علي الانصاري وهو في السادسة من عمره

الشهيد علي الانصاري وهو في السادسة من عمره

الشهيد علي الانصاري وهو في السابعة عشر من عمره

الشهيد علي الانصاري وهو في السابعة عشر من عمره

الشهيد علي الانصاري في جنوب لبنان

الشهيد علي الانصاري في سفرة مع زملائه في العمل على ضفاف الفرات

الشهيد علي الانصاري في جنوب لبنان

الشهيد علي الانصاري مع مخرج التلفزيون الايراني بعد نجاتهما من عجلة مفخخة

زينب علي الانصاري وهي تحمل في يدها الماء لترميه خلف والدها

15/02/2010 21:43

الشهيد علي الانصاري اثناء التحاقه الى احد الواجبات العسكرية

الشهيد علي الانصاري وهو يجلس في مكان احد الباعة المتجولين وينادي حاجة ربع

الشهيد علي الانصاري اثناء الاستعداد لمهرجان الغدير

الشهيد علي الانصاري اثناء تحرير امرلي

الشهيد علي الانصاري في العمليات العسكرية

الشهيد علي الأنصاري مع زملائه في قناة الغدير

الشهيد علي الأنصاري أثناء عمله الإخراجي

الشهيد علي الأنصاري أثناء تغطية زيارة أربعين الإمام الحسين (ع)

الشهيد علي الأنصاري في مناسبة زواج احد أصدقائه

المُحتَوَيات

دليل المحتويات

المقدمة	٩
هويتي	١٣
رؤيا كريم	٢١
تسلسل علي	٢٧
لماذا ينادينى الأطفال كريم؟	٣١
الهلال الأحمر	٣٥
حفيدة الطفل	٣٩
العصابة	٤٥
قناة الغدير	٥١
مراجعة الطبيب	٦٩
هيعونكم صلاتكم كلها قصر	٨١
أموال العمرة	٨٣
علي مندفع	٨٧

لماذا أنت حزين؟	٩١
بويه علي	٩٧
نسير إلى رحمة الله	١٣٥
صورة علي	١٤٥
علي وكريم وجهان لشهادة واحدة	١٥١
حجية هو وينه علي؟	١٥٧
نطق الشهادة	١٥٩
موقف مع علي في معركة تحرير العظيم	١٦٣
يتكلمون عني بسوء	١٧١
هل أكملت صلاتك؟	١٧٧
قد أعلن علي الإفلاس	١٨١
إني حزينة لفقد العاطفة	١٨٧
وهلي يكفي لمواقف علي؟	١٨٩
كان خادماً للحسين عليه السلام	٢٠١
سأكون أول الشهداء	٢٠٥

لم يُنسَ علي حتى ساعة	٢٠٩
كنت مع الأنصاري	٢١٣
كان لي أب	٢١٥
رأيتُ ولدي بجانبي	٢١٧
وكأنه وجد قبر ولده	٢١٩
نموت معاً	٢٢٥
من هو الأنصاري؟	٢٢٩
لا أعرفه قبل الشهادة	٢٣٣
هل سيطرق الباب مرَّة أخرى؟	٢٣٩
هل علي ثقة؟	٢٤٣
لسان حال أمّ علي على ولدها	٢٤٩
لماذا تركتني وحدي؟	٢٥٣
كأنك ولدي	٢٥٥
رسالة من مجهول	٢٥٧
حتماً كان علي أفضل مني	٢٦١

انتهى الوقت ورحل الجميع	٢٦٣
كأنه لم يرحل بعد	٢٦٥
بابا! أنا زينب	٢٦٧
النظرة الأخيرة	٢٦٩
الخاتمة	٢٧١
الملحق الصوري	٢٧٣
المحتويات	٢٩٥

المؤلف

في هذا الكتاب كتبت حياة الشهيد علي الأنصاري منذ الولادة وحتى الشهادة، كتبتُ سيرة علي بطريقة جعلتُ فيها (عليّ) يتحدّث معكم ويعرّف نفسَه لكم حتى الشهادة، بأسلوبٍ شيّقٍ بسيط، يلمسه القارئ اللبيب.

اعتمدت هذا الأسلوب بالكتابة كي يبقى الشهيد حيّاً معنا في كلّ الكلمات التي يقرأها محبّوه.

جمعتُ في هذا الكتاب عدَّة مواقف لعلي التي عاشها مع محبّيه.

واقتصرتُ على أهم مواقفه مع أصدقائه؛ وإلّا له مع كلّ صديق عشرات المواقف، بدأت بجمع مواقف علي والبحث في حياته من الذكرى السنوية الرابعة لرحيله، ونحن الآنٍ على أعتاب ذكرى رحيله الخامسة.

عاماً كاملاً بين البحث والكتابة وإعادة السرد لعدّة مرّات ليكون بمستوى عنوان شهيدنا الغالي (رحمه الله)